جود ابو صوّان

خرافة المعتقدات اليهوديّة

وتأثيرها على المسيحيّة

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

الطبعة الأولى ٢٠١٠

بطاقة المؤلف الشخصيّة

جود أبوصوّان من مواليد ١٩٣٨.

باحث اجتماعي، مجاز في الفلسفة وفي علم النفس السرائري.

أمضى أكثر من أربعين سنة في مختلف مراحل التدريس.

عضو اتحاد الكتّاب اللبنانيين.

عضو اتحاد الكتّاب العرب للبحوث.

عضو الجمعية الدولية للدراسات الفلسفيّة والنفسيّة.

عضو مؤسس لمركز البحوث الفلسفيّة والنفسيّة.

محاضر جامعي في العديد من المنتديات الثقافيّة اللبنانيّة والعربيّة والدوليّة.

يؤمن بوحدانية الخالق العظيم وبكمال نُظمه، بلا طقوس ومذاهب.

كما يؤمن باستمرارية الحياة وبوحدة الإنسان والكون.

صدر له:

- القراءات الملعونة.
- البعد السابع.
- شخصيتك والمستقبل في يدك.
- طاقات الدماغ الخفيّة.
- ما بين النفس والجسد.
- خرافة المعتقدات اليهوديّة وتأثيرها على المسيحيّة.
- المُعين في الطب المنزلي.

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

الاهـــــداء

إلى كل من لا يعرف ولا يخاف إن عَرَفَ.
إلى كل من لا يخاف فعل الكلمة فيه
إليهم أهدي هذا الكتاب.

المقدّمـــة

منذ بَلغتُ الثانية عشرة، وكأي فتىً في مثل هذا العمر، حاولت التفتيش عن أجوبة لأسئلةٍ تتخطَّى المألوف، وتتعدى الماوراء، والحياة وأسبابها ومآلها بعد الموت، متسائلاً عن المعبود وماهيته ودوره في الخير والشَّرِ، وعلاقته بالبشر وسائر المخلوقات، وعن أسباب الوجود والغاية منه، وعن الآنيّة والخلود. وغُصت بالتفتيش في علوم الفلسفة، قديمها وحديثها، وعلمِ المنطق والناسوت واللاهوت. وعمدت الى التوراة والأناجيل والقرآن والتلمود، والميشنا والجمارا والميركافا والى كلّ ما كُتب ويُقرأ حول علوم الحياة والغيب والسياسة والإجتماع والدين؛ أُقلّب الصفحات، والتفكير بين المنظور المكتوب وبين المنطق غير المسطور ولا المجهور. وتوسلّتُ المعرفة عند القساوسة البروتستانت على مختلف كنائسهم المعروفة في مدينة طرابلس التي كنت أعيش فيها والتي نهلت العلم في مدارسها وتفتّحت عيناي على مجتمعها التعددي المنفتح على بعضه والمنغلق على ذاته على حدٍ سواء. ولم أجد في كل ما قرأته وما سمعته ما يقنع المنطق المترسّخ تزايداً في عقلي.

وأجدني اليوم وقد تجاوزت السبعين على قناعةٍ رسختّها البحوث والتجربة والمنطق، بأن كل ما تحاول الأديان فرضه كحقيقةٍ على عقول مؤمنيها لا يتعدى كونه نظريّات عاطفيّة ايمانيّة تكرّر ما عرفته الوثنية ونقلته اليهوديّة عنها بتفرّدٍ وعنصريّةٍ فرضتهما على ما جاء بعدها من الأديان التي لم تتجرأ على تخطّي الحدود التي رسمتها لها ومن بينها فكرة المسيح المخلّص. والنتيجة كانت، أن جميع الأديان لم تقدم للإنسانية سوى العنصرية وكراهيّة الآخر وإلغائه. فجميع الحروب وأنهار الدم، وعلى مدى التاريخ، كانت بدوافع دينّية ومذهبّية أو عرقّية. يقول الفيلسوف الأنكليزي جون بونيون John Bunyan الذي عاش بين ١٦٢٨ و ١٦٨٨ للميلاد، في كتابه "رحلة الحجاج". "**إنَّ الدين هو أفعل سلاحٍ يستعمله الإنسان ضدَّ أخيه الإنسان**". فالأديان كانت وسيلة للسيطرة السياسة، إذ أنها فّرقت الإنسان عن الإنسان؛ في حين أن الإيمان يوحّد الإنسان ويدمجه بخالقه. فخالق هذه الأكوان واحدٌ، أما طرق التعرف إليه، أو التقرّب منه، فهي بعدد خلائقه. والعلاقة بين الإنسان وخالقه هي علاقة عامودية بحتة وخاصّة، جاءت الأديان فسطّحتها، فكانت الكراهية والحقد

والعنصريّة والحروب وأنهار الدم التي مازالت تتجدد منذ فجر التاريخ وحتى اليوم.

ساءلت نفسي كثيراً، وحاورت ذاتي فيما أعتقد حول وحدة الإيمان وما فُرض حولي في المسيحيّة والإسلام واليهوديّة من أفكارٍ يعتبرها المؤمنون بها، إلهيةً، لا يجوز البحث فيها أو السؤال عنها، وبالتالي، فأنّ أيّ تجرّؤ على ذلك يعتبر كفراً، أو زندقة ودحضاً للوحي الإلهي المقدّس، وبالتالي كيف لي أن أجهر كتابةً على قول ما يخالف ذلك؟. فالحياة والموت مسبّبان بعضهما لبعض، بشكل دائري مقفل، دون إمكانية تحديد السابق للاّحق. وما لحظة الموت إلاّ ضرورة حتمية لتخطّي عتبة الوجود الماديّ إلى الوجود المطلق. كما ان ولادة الإنسان هي عتبةٌ حتميةٌ للعودة من العالم المطلق إلى العالم الماديّ. فالحياة لا تستمر الإ بالموت، إذ أنها تهدف وتسعى إليه منذ الولادة.

بين هاتين العتبتين يعيش الانسان مرغماً لما رسم له الخالق، من مصير يتقبّلهُ طائعاً او مرغماً، كارهاً او شاكراً، ودون ان يعرف الهدف من حياته بين هاتين العتبتّين، وذلك لقناعته المُطَمئِنَة لعجزه من معرفة السبب، بأن خالقه الكامل لا يمكن أن يكون ظالماً بجعله الموت إنهاءً لإرادته في الحياة؛ فهو قد خلق الكون دون أن يسأل الإنسان، ودون أن يأخذ رأيه

أو يستشيره في نوعيّة الحياة التي أرادها له. فحتمية الإيمان بكمال إرادة الخالق أوجبت خلق الكون، مرة واحدة وإلى الأبد، بنُظمٍ كاملةٍ، متناقضةٍ، ومتكاملةٍ في الوقت ذاته، فيستمر الكونُ، بها، بكل ما فيه.

هذه النظم والقوانين الثنائية المتكاملة بذاتها، أعطت لجميع المخلوقات والكائنات، كل حسب جنسها ونوعها وفصيلتها، أسباب التكامل والبقاء. أما الإنسان، فأُعطي، إضافة إلى ذلك، العقل، الذي بموجبه يفهم نُظُم الكون ليعيش ويستمر. وعلى قدر ما يفهم عن هذه النظم والقوانين يعيش بسلام الحياة. وعلى قدر ما يخرقه منها أو ما يجهله عنها يعيش بتعاسة الأيام. فلكلّ نتيجة سبب ولكلّ عمل نتيجة.

على هذا اليقين، قررّت كتابة ما أؤمن به وما لمسته منطقياً، من المعطيات التاريخيّة حول المسيحانيّة التي فرضتها اليهوديّة على غيرها من الأديان اللاحقة، وقد جعلت منها حواجز تقيها مما قد يزعزع أُسسها فتسقط إمبراطوريتها المبنيّة على أوهام الإيمان المتستّر بقدسيّة ألوهيتها المزعومة.

الكذبة الكبرى

*

"إنّنا نعرف ولكننا لن نعترف"

*

بهدف تصوير بني إسرائيل كأبناء الله الحقيقيّين وحدهم، دون غيرهم من بقية شعوب العالم، عمد كتبة التوراة والنصوص اليهودية إلى تزوير الحقيقة التاريخيّة بزعمهم أن الله قد فضلّهم على العالمين، وَوعَدَهُم بملكية الأرض التي تطأها أقدامهم، برعايته طبعاً، من الفرات الى النيل، مروراً بلبنان وما يحيط به، بالإضافة إلى قدسيّة طرد الشعوب وقتلها وإبادتها.

إن ما دُوّن في التوراة وفي الأناجيل بشكل مدروس ودقيق، يجعل الإنسان العلماني، البسيط الذي لم يعتد الغوص في حقيقة الأمور الدينيّة، يؤمن باندهاش بأن ما جاء فيها هو حتماً كلمة الله. هذا الإنسان، نفسه، يقتنع للأسباب عينها، بأن ما ورد في بعض ما جاء في العهد الجديد هو ايضاً كلمة الله. الحقيقة، إن ما ورد في التوراة ليس تاريخاً، ولا يتعدى كونه سيرة لشعب فيها الكثير من المبالغة والتضخيم والزخرقة

والفولكلور. فقد هدف واضعوها إلى إقناع القارىء البسيط بصحّة وجهة نظرهم الدينيّةِ، التي أرادوا تأكيدها من خلال بعض التشريعات الأخلاقية، المنحولة عن غيرهم من الشعوب.

إن التاريخ العلمي يبحث عن الوقائع بموضوعيّة دون تحّيز أو وجهة نظر مسبقة. وما يقال بأن الموضوعّية المطلقة في التاريخ تبدو مستحيلة، لا يبررّ كتابة تاريخ يهدف لدعم رأي دينّي متحيّز. والمؤرخ الجيّد يحاول إكتشاف التحيّز وتصحيح الواقعة بمعزل عن رأيه الخاص أو ميله الديني أو السياسي.

فهو يعرض واقع الحال، وعلى القارىء أن يميّز بين الحقيقة الموضوعيّة وبين الواقع المفروض كحقيقة. فتزوير الحقيقة، كما هو حاصل في الكتابات اليهوديّة، خاصة، عمل قديم، أتقنه كتبة التوراة القدماء لفرض مفاهيم مخططاتهم العرقية وآرائهم الدينيّة على أنها وحيّ مقدس، وكلام إلهي لا تجوز مناقشته. كل هذا يقودنا إلى التشكيك في تاريخ اليهودية منذ نشأتها وحتى اليوم.

إنّ نتيجة الدراسة العميقة لنصوص التوراة تؤكد أنها لم تكتب في الأزمنة التي يدّعى علماؤها أنها كُتبت فيها. فمن

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

الثابت تاريخياً أن ما ورد في التوراة هو تأريخ لأحداث مُغرضةٍ بهدف إثبات واقعها الديني؛ وعليه فإن كتبة التوراة، على مختلف رُتَبِهمْ وأزمنتهم ومدارسهم الفقهّية، لا يُعتبرون مؤرخين، لأن هدفهم من الكتابة، خلق لاهوتٍ يصوّر الحلم الواهم كحقيقة واقعة. وما اعتمادهم على بعض صور التاريخ، أسماء ووقائع، إلاّ لإكساء هدفهم بالحقيقة التاريخيّة، تغطية وتمويهاً للتزوير وتحريفاً للوقائع. فالتوراة فيها شيء من التاريخ، والكثير، الكثير من التلفيق والتزوير والنحل والتقليد، فيختلط الحلم والخيال بالواقع الموضوعي.

من هنا، عمد بعض النقّاد التّوراتيّين، أمثال ديفر Dever وأولبرايت Albright إلى الخلط بين الواقع والحقيقة، إذ أنهم خلطوا بين الأثار التوراتيّة وبين الحقيقة، مفترضين أن هذه الأثريات هي أساس مكين للتاريخ. في حين، أنها ليست إلا صوراً حُلمية، واهمة، أُعطيت صفة الواقع بكثير من الصياغة والقصص كي تبدو فيما بعد كحقيقة. وبذلك يَصْدُق قول فولتير Voltaire الفيلسوف الفرنسي "**اكذبوا، اكذبوا، فبعد زمنٍ تصبح الكذبة واقعاً تعيشه الشّعوب اللاحقة كحقيقة دامغة**".

دعماً للحقيقة التي تكشّفت لبعض الباحثين اليهود، فقد أعلن زئيف هرتزوك Zeev Hertzog من جامعة تل أبيب أنه لم يكن هناك خروج من مصر، وإن يشوع بن نون لم يهدم أسوار أريحا، وأن مملكة سليمان ليست أكثر من مملوكيّة لقبيلة معيّنة، وبأن توحيد مملكة إسرائيل التي يُحكى عن وجودها في القرن السابع قبل الميلاد، لم تكن أكثر من مصالحةٍ بين قبائل موجودة في السامرة، وأخرى في منطقة يهوذا.

بعد إعلان هذه الحقائق، قامت قيامة اللاهوتيين اليهود، على هرتزوغ، كما هي عادتهم على كل من يحاول دحض المزاعم التوراتية، فاتهموه بالخيانة، مما دفع بوزير التربية يوسي سريد Yossi Sarid للقول:"**يجب أن يؤخذ عمل هرتزوغ بعين الإعتبار ويجب أن يعرض للدرس والمناقشة.**"

دفعاً لإبعاد الباحثين الموضوعيّين عن أعمال التنقيب خوفاً من إكتشافهم لزيف مقولة تدخلّ الله في إنشاء إسرائيل، فقد عمدت، المؤسسة الأميركية للتنقيب عن الآثار التوراتيّة في الأراضي الفلسطينيّة، على إنتقائية الباحثين المؤمنين بصدق الكلام التوراتي وهيّأتهم للتنقيب دون غيرهم وذلك لسببين، أولهما إثبات النظرة المسبقة للعمل التنقيبي، وثانيهما الخوف

من وقوع المنقّبين غير المؤمنين بقدسيّة التوراة على ما قد يفضح زيفها ويهدم كل ما حاولت بناءه.

من الثابت تاريخياً أن نصوص التوراة لم تكتب في الأزمنة التي يدّعي علماؤها أنها كتبت فيها. فموسى ليس هو من كتب الأسفار الخمسة: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد والتثنية في العام ألف وخمسماية قبل الميلاد، ولا حتى في العام ألف وثلاثماية قبل الميلاد، كما يدّعى بعض المدافعين عن قدسّية وألوهية ما جاء فيها. كذلك فإن ما كتبه أشعياء لا يمكن أن يكون في العام سبعماية قبل الميلاد، لأن أسلوب هذه الكتب ليس موحّداً، مما يثبت أنها كُتبت في أزمنة مختلفة ومن قبل كّتاب عديدين. فالفترة المتداخلة بين الأحداث المفترضة تبدو أنها نتيجة التلقين الشفوي بعدما أُضيف إليها الطابع الخرافي المثيولوجي المأخوذ عن الثقافتين البابليّة واليونانيّة. وذلك على غرار ما ورد في كتابات هوميروس الذي وصف بشاعرية وخيال مطلقين، سنة ثمانماية قبل الميلاد، ما حدث في حصار طروادة الذي تمّ سنة ألف ومايتين قبل الميلاد. وما جاء في التوراة عن هرب مليوني بشري من مصر وما ذكرته عن مملكة داود وهيكل سليمان، فهو ليس إلا نتيجة أضغاث أحلامٍ

لكتّاب هدفوا لفرض تصوّراتهم على التاريخ اللاّحق (projéction des idées).

إنّ جميع محاولات التنقيب والتفتيش لم تثبت وجود مثل هذه الإدعاءات وأماكن وجودها. من ناحية أخرى إن إمكانية هرب بعض العبيد من أسيادهم المصريين خلال أربعماية سنة، وانضمامهم الى مجموعات الرعاة الرحّل، لا يعني أبداً خروج اليهود من مصر، كما وإن تواجد بعض هؤلاء في فلسطين طلباً للماء والكلأ، لا يعني فتحهم لتلك البلاد واحتلالها على يد قائدهم المزعوم توراتياً وبتوجيه من إله مزعوم أيضاً.

حتى غزو الفرس للأراضي الفلسطينيّة في القرن السادس قبل الميلاد، كانت لغة هذه البلاد وثقافتها كنعانية بحتة. وما يدّعيه غلاة اليهود عن ثقافة يهوديّة في تلك البلاد هو إدّعاء سخيف ليس إلاّ. إذ إن ما جاء على لسان نحميا يثبت عكس ذلك، "**في تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساءً أشدوديّات وعمونّيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي، ولم يكونوا يحسنون التكلّم باللسان اليهودي**" (نحميا ١٣:٢٣:٢٤).

ما يثير الدهشة، أن بعض كتبة التاريخ يؤمنون بأن ما رواه المؤرخون الدينيّون هو حقيقة إلهية لا يمكن البحث في

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

مصداقيتها. فالمقارنة العلمية للإيمانية التوراتيّة تُسقِطُ فرضيّة الإله الفئوي، المتحيّز، وغير ذلك، مما لا يقبله الإيمان العقلي بالإله الواحد، الكامل، العادل، وهذا ما يدفع للدعوة إلى اعتبار ما جاء في التوراة لم يكن إلا نتيجة تأثّر كتّابها بأفكار الفرس الزرادشتية ومحاولة دمج تلك المفاهيم مع تصوّراتهم الخاصّة كي تبدو فريدة وخاصّة بهم. وما محاولة تدمير آثار العراق ونهبها إلاّ لتغطية التأثير الفارسي على الدين اليهودي ولمحو آثار بصماته. فالمؤرخ المتحيّز، خاصة، إذا كان متسلّطاً يمحو الفشل والخسارة، ويعظّم ما أتاه من إنتصارات، وإن كانت هزيلة، وهذا ما يبدو جلّياً في بطولات التوراة المزعومة.

إن سيطرة اليهود على فلسطين، يفرض عليهم، بحكم الأمر الواقع، الاستمرار بخرافية التواجد الألهي، لتبرير الإحتلال، لكنّ هذه الحاجة النفسيّة والإجتماعيّة للتبرير يجب ألاّ تكون على حساب الحقيقة التاريخية. فما يبدو اليوم حقيقة في فلسطين، ليس أكثر من واقع مفروض أُلْبِسَ زي الحقيقة حتى ليستحيل على القارىء المؤمن، التمييز بين الحقيقة والواقع، بين المزّيف والحقيقي.

على مرّ قرونٍ طويلةٍ، إكتفى العلماء التوراتيّون بما جاء في نصوص التوراة، لإثبات مصداقية تاريخها، مما دفع

بالباحثين الموضوعيين للقول المُسنَد علمياً وتاريخياً بأن ما جاء في النصوص اليهودية المقدسة هو تلفيق هائل للتاريخ واختلاق لأحداثه.

إن الإعتقاد بالإله الخرافي، الماورائي، المُتدخّل بأمور الناس بناء لطلبهم، أوجده الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، للسيطرة على شعب فلسطين واحتضانه بغية حماية بوابات مصر. فقد وجد اليهود الأصوليّون، إبتداء من القرن الثالث قبل الميلاد، في هذه القصص الخرافية أهمية عظيمة استغلوها في كتابة توراتهم لإبعاد سكّان البلاد عن آلهة اليونان وثقافتها، ارضاء لأسيادهم الفرس. في هذا السياق يقول توماسل. توسون Thomas L. Thomson، أستاذ الدراسات التوراتية في جامعة كوبنهاجن. "**إن ربط العلماء الباحثين لأحداث التوراة بالمعتقد الديني قد دفعهم لتبرير الأحداث بأعقم الفرضيات.**" استطراداً لهذا البحث يقول وليم دارلميبل (William Darlmyple) أحد المتعمقين في كتب توماس توسون "**إن العلماء التوراتيين أعطوا النص التوراتي الديني تاريخيّة لا يستحقّها.**"

بناء لما ذكره توسون وغيره من العلماء الموضوعيين فإن ما ذكره العلماء التوراتيّون لا يتعدى كونه قصصاً وهمية

وأضغاث أحلامٍ غُلِّفَت بالقصص المأخوذة عن الشعوب المجاورة، ووشّيت بالأكاذيب بهدف طمس الحقيقة وإظهار الكذبة كحقيقة بديلة لها. وما قبول المسيحيين بالتاريخ اليهودي بكل عواهنه،كحقيقة، إلاّ كقبول الإله الخرافي عند أصحاب العلوم. إذ كلما تقّدم البحث العلمي، كلما ضاقت المساحة التي يشغلها مثل هذا الإله. تماماً، كتراجع موج البحر لدى انحساره. أما إيمان المسلمين بما جاء في التوراة فلأنهم يتوخّون القداسة في الكتب، ويعتبرون بأن هذه التوراة المتداولة هي تزييف للتوراة الأصلية، غير الموجودة إلا في عقلهم الإيماني المحض. فمن أين عرفوا بأن هذه التوراة مزيفة، لو لم يلحظها القرآن؟ فلولا ما جاء فيه من حديث حولها، هل كانوا يستطيعون مقارنتها بالتوراة الحقيقية التي يقولون إنها جزء من اللوح المحفوظ، فيكتشفون زيفها؟

لقد أثبت علم الأحاثة Palae logical، أي علم دراسة بقايا الموجودات الإنسانية والحيوانيّة والنباتيّة، أن قصة الخلق التوراتي، بما في ذلك قصة طوفان نوح وقصص موسى ويشوع، لا تتعدى كونها أسطورة ملحمية لأبطال وهميين. كذلك فإن وجود القضاة في حياة الشعب اليهودي، ليس إلا من ضرب الخيال والوهم والإدّعاء. فليس هؤلاء القضاة بأكثر من

رؤساء عشائر معيّنة كما هي الحال عند البدو، إذ لكلّ عشيرة رئيس يأخذون برأيه ويساعدهم في حلّ مشاكلهم. وكلّ ما ذُكِرَ في التوراة عن قصص الأبطال: شمشون، جدعون، شاول، داود، وسليمان ويشوع، وأليشع وغيرهم، ما هو إلا تقليد لما شاهدوه عند غيرهم أثناء سبيهم إلى بلاد العراق ولما سمعوه عن أبطال طرواده بعد تأثّرهم بالإحتلال اليوناني للبلاد الفارسية وللأراضي الفلسطينيّة.

يقول المؤرخ مانيتون Manetton ويوافقه المؤرخ سترابون Strabon بأن موسى هو ابن الأميرة ترميتوس Thermitus إبنة رعمسيس الثاني وكانت مصابة بالبرص لدى حملها به. ولدى ولادته أخفته في سفطٍ مدهون بالقار وألقته في نهر النيل وأوكلت إحدى وصيفاتها المرضعات بالإهتمام به. ولدى استحمامها بالنهر قرب المكان الذي وضعت فيه الطفل، شُفيت من برصها، وكان الإسم المصري للمولود يوزرزيف. واهتمت والدة الأميرة أي زوجة الفرعون بتنشئته وإعداده ليكون خليفة للفرعون بدل ابنها منفتاح المختّل عقلياً، فأدخلته إلى معبد أوزيريسOsiris ليتعلّم أصول الكهانة وأسرارها العلميّة. وعندما فشلت مؤامرة استلامه السلطة هرب إلى مديان.

ما ذكره المؤرخ مانيتون ووافق عليه سترابون يدحض القصة التوراتية لموسى، خاصة وإن السجلات الفرعونية التي كانت تُدَوَّن على الصفائح الفخاريّة، لم تأت على ذكر وجود اليهود في مصر، ولا وجود لأية إشارةٍ عن موسى.

إن التأخير في الكشف عن هذه الحقائق كان نتيجة بحوث جمعيّة الاستكشاف في فلسطين التي تأسست سنة ١٨٧٠ للميلاد، التي هدفت لدحض الكفر والتشكيك المعاصر بالوقائع التوراتيّة. فقد عمدت البعثة الاميركية الداعمة للجمعية، برئاسة وليام أولبريت William Albright إلى تجاهل كامل للآثارية الفلسطينيّة وحقيقة وجود للشعب الفلسطيني السابق لقدوم اليهود إلى فلسطين، وذلك بغية الدفاع عن كلمة الله ومصداقية الوعد المزعوم بتملّك الأرض وطرد سكانها الأصليين منها.

كما أن أحد الأثاريين: جيمس كلسو James Kelso الذي اكتشف موقع بيت إيل Bethel في فلسطين عمد إلى دمج المكتشفات الخزفية للموقع بالصور الخياليّة المطابقة لقصص التوراة وذلك بهدف إثبات مصداقيتها. وقوله باكتشاف مذبح إبراهيم لا يتعدى كونه تحريفاً لمذبح أقيم للإله الكنعاني إيل، في الهواء الطلق والذي كانت عبادته شائعة في تلك البلاد.

إن جميع المستكشفين والآثاريين قاموا بتنقيباتهم وبحوثهم بدافع مطابقة الحكم المسبق لمعتقداتهم على كل ظاهرة أو واقعة عثروا عليها وذلك خدمةً لأغراضهم الدينيّة والسياسيّة والعسكريّة والاجتماعيّة. إن الهمّ الأساسي لهؤلاء لم يكن أبداً إكتشاف الحقيقة التاريخية لأحداث الماضي، وإنما لفرض قدسيّة النصوص على التاريخ. فبعد مئة سنة على الحفر والتنقيب في فلسطين، لم يتبيّن للعلماء أي أثر يُثْبت مصداقية الزعم التوراتي، بل على العكس من ذلك، فقد تبيّن لهم أن الأثارية التوراتية غير موجودة، مما دفع ببعضهم للتراجع عن تصريحاته السابقة، ومنهم أولبرايت، والإعتراف بأن ما جاء على لسانه لم يكن أكثر من تصوّراتٍ وتوقّعاتٍ لأحداثٍ ليست موجودة إلاّ في الفكر التوراتي المتزمّت. فجميع التنقيبات التي قام بها الكثير من المنقبين، عن آثار مدينة أريحا، أثبتت وجود المدينة مدمرة ومحترقة قبل مئة عام وأكثر من إدعاء التوراة بتدمير يشوع بن نون لها في العام ١٢٦٠ قبل الميلاد.

في فترة الثورة المكابيّة عمد المكابيّون ومن تبعهم من المتعصّبين اليهود إلى تدمير كل الآثار والنقوشات القديمة التي تشير إلى التاريخ الحقيقي للمنطقة وذلك قصد إظهار ما جاء في الكتب القديمة (التوراة) على أنها وحدها التاريخ الحقيقي الواجب اتباعه. وقد ذكر المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزف بأن

المكابيين حين تسلّمهم الحكم ما بين سنة ١٦٤ قبل الميلاد وسنة ٣٥ بعد الميلاد، عمدوا إلى إحراق كتب المجوس وحرقوا كتب التنجيم التي كانت متداولة عند الشعب اليهودي الذي كان قد تعلّمها من المجوس في بابل أثناء سبيه هناك. في حين بقي الأسينيون يعتمدون على التنجيم والطبّ وسائر العلوم الخفيّة، إذ كانوا يعتمدون على تفسير الظواهر الطبيعية ويربطونها بمصائر الناس، كمراقبة حركة الطيور والحيوانات وفحص أحشائها بغية إعطاء تفسيرات للظواهر الطبيعية، وهو ما يعرف عندهم بعلم الكابالا Kabala الذي لا يزال بعض حاخاماتهم يستعملونه لتوضيح أمور المستقبل.

كان الفرس، خاصّة المجوس منهم، يعتمدون على العلوم الفلكيّة لأسباب دعائية، نفسيّة وعسكريّة، للتأثير على أتباعهم وعلى خصومهم على حدٍّ سواء. وكان المجوس هم الناطقين الرّسميين للأحزاب السياسيّة والدينيّة. ولا تزال قصة قدوم المجوس، الموجودة في إنجيل متى، للتبشير بمولد مخلّص للبشريّة، تفسيراً لرؤيتهم لمذنّب هالي، في جوهر الإيمان المسيحي.

كما أن اليونان كانوا يمارسون التنجيم والعرافة وقصة تقديم والدة الإسكندر لإبنها على مذبح الآلهة في معبد دلفي لمباركته، طالبةً منها، أن تعطيه حظّاً يخدمه به أصحاب

العقول، لا عقلاً يخدم به أصحاب الحظوظ، لا تزال موجودة في الفولكلور اليوناني.

لم يتمكن اليهود من إيقاف فن التنجيم، فَكَثُرتْ مدارس التّنبّؤ عندهم. فالمتنبىء اليهودي كان يأخذ الأحداث التاريخية الماضية، ويحوّر فيها ما شاء له التحوير ليجعلها أحداثاً لاحقة، قصد إظهار مقدرته في التنبوء. فالرواية المنقولة، تصبح حقيقة إذا صحّت عودة الأحداث. وهذا أمر طبيعي أحياناً، لأن ميول الإنسان لا تتغير، ولذلك فهو يعيد ماضيه وعلى هذا يُبنى القول بأن التاريخ يعيد نفسه.

من مطالعة قصص التنبّؤ التوراتي، تظهر مدارس التنبّؤ في العديد من المرتفعات مثل شيلوه، وجبعة وغيرها، كما يكثر عدد الأنبياء والنبيّات عند الشعب اليهودي. ومن أساليب هؤلاء الأنبياء والمنجّمين الإعتماد على الرمزية واللغزية الكلامية لدعم مزاعمهم، إذ يعزون عدم تحقق ما تنبأوا به إلى عدم فهم القارىء لفك رموز تنبؤاتهم كما هي الحال في تنبؤات نوستراداموس اليهودي، الذي لم تكن كل تنبؤاته الا لدعم المسيرة اليهودية.

الكتب المقدّسة

*

"اننا لا نعرف، ولا نريد أن نعرف، لئلا نعترف".

*

تأثّر اليهود أثناء وجودهم في بابل بالفكر الديني والفلسفي البابليين، إذ لم يكن لهم، قبل هذه الفترة، مؤسسة فعلية تُعنى بالفكر الديني الفلسفي، فزخرفوا كتبهم بالقصص الخرافية وبالأوهام الميتافيزيقية التي كانت رائجة في تلك البلاد، وأشبع أحبارهم، الموالون للفرس، أتباعهم بمشاعر الكراهيّة للشعب المصري، وذلك ممالأة لأسيادهم الفرس الذين كانوا يكنّون العداء للمصريين. فاستغل الفرس ذلك وأصدر قورش، بعد زواجه من هدسة أو أستير اليهودية، مرسوماً يقضي بالسماح لليهود بالعودة إلى القدس، ووعدهم بإعادة بناء الهيكل، وأغدق عليهم الأموال بغية استمالتهم إلى جانبه وإقامة حلف معهم يفصل مصر المعادية عن الأمبراطورية الفارسية.

أثناء وجودهم في المنفى تعلّم اليهود اللغة البابليّة التي أصبحت لغتهم الأساسية، فكتب عزرا، أحد المسبيين، التوراة الأولى، باللغة البابليّة، كما يشير المؤرخ اليهودي فيلون بذلك. وتأثّر اليهود بالزرادشتّية يبدو ظاهراً، وهي ديانة الدولة

الفارسيّة العظمى، فأخذوا عنها الكثير من معتقداتهم ومن تقاليدهم الدينيّة وقد شجّع الفرس اليهود على دمج اليهوديّة بالزرادشتّية، فكان اليهودي المنفي الذي اعتنق الدين الجديد مقرّباً من الحكم، إذ كان، على زمن أرتحششتا، يأتي في الدرجة الرابعة بعد الملك. أما بعد الإنقلاب الفكري في عهد الأسرة الساسانية، فكان هؤلاء يعتبرون من الهراطقة، الزرادشتيين المنشقّين، ومنهم دانيال الذي كان مجوسياً يتعاطى التنجيم، والسحر، وتفسير الأحلام والتنبؤ وله سفر خاص به في التوراة؛ زعموا أن دانيال كتبه في القرن السادس قبل الميلاد أثناء وجوده في بابل. والحقيقة أن هذا السفر كُتِبَ في الزمن المكابي حوالي سنة ١٦٥ قبل الميلاد.

رغم محاولات الباحثين اليهود والمسيحيين نفي أي إثبات مباشر لارتباط اليهودية بالزرادشتية، حتى وفي حال وجود إثباتات فإنهم كانوا يعتبرونها تزويراً أو دّساً أو خطأ تقيميّاً. ورغم محاولات الكثير من العلماء المتشددين اليهود او من المسيحيين المتحمسين لعودة المسيح المنتظر، من أمثال وليم ديفر William Dever وغاستر Gaster، نفي هذه التهمة عنهم، فإنهم لم يستطيعوا إثبات أقدمية معتقدهم قبل

تاريخ السبي إلى بابل. وتبقى مقولة "**نفي النفي اثباتٌ له**" هي الأصدق والأقرب إلى الفكر المنطقي.

بما إن الزرادشتية هي دين توحيدي فقد حاول سياسيّوها فرضها على الشعوب التي سيطروا عليها، وذلك بدمج معتقدهم مع معتقدات الشعوب المهزومة للوصول إلى السيطرة على النفوس، خاصة بعد دمجهم للإله مردوك بالإله أهورامازدا. فقورش العظيم، بسبب ملاطفته لليهود المسبيّين ووعده لهم بالعودة وبالمساعدة في بناء هيكلهم، أصبح عندهم مسيحاً مبجّلاً وقد جاء في سفر عزرا الإصحاح الأول ما يلي: "**في السنة الأولى لقورش ملك فارس، عند تمام كلام الرب بفم ارميا، نبّه الرب روح قورش فأطلق نداءً في كل مملكته وبالكتابة أيضاً قائلاً، هكذا قال قورش ملك فارس، جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في اورشليم التي في يهوذا، من منكم من كل شعبه ليكن الله معه ويصعد الى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله إسرائيل... وكل من يبقى في أحد الأماكن حيث هو متغرّب فلينجده أهل مكانه بفضة وذهب، وبأمتعة وبهائم مع التبرّع لبيت الرب في أورشليم**" (عزرا: ١٠٤).

إن إله السموات الذي ذكره قورش في ندائه ليس الا أهورا مازدا الذي دُمج بإله إسرائيل الذي عُرف بعد السبي "بيهوه"، وعندما حاول اليهود، العائدون من السبي، إقناع إخوانهم المحليين الذين بقوا في جبال اليهودية، ومنهم السامريّون، بأن قورش الذي أعادهم ودعاهم لبناء هيكل لأهورا مازدا في أورشليم، إنما كان يفعل ذلك حسب الشريعة القديمة لليهود. لكنّ هؤلاء قاوموا نشر هذه الأفكار ورفضوا دمج إلههم بالإله الجديد، كما رفضوا إعادة بناء الهيكل على تصميم الملك الفارسي.

هؤلاء الأصوليون، المعارضون، الذي عرفوا فيما بعد بالسامريين أو برجال الأرض Ha-artez، عمدوا الى بناء هيكلهم الخاص على جبل جريزيم Gerizim في منطقة السامرة، وألغوا القدس أو أورشليم من الأسفار الخمسة التي يؤمنون بها فقط، على ظنّ منهم بأن موسى هو من كتبها، فهي توراتهم دون بقية الأسفار المعروفة بإسم الكتاب المقدس.

عندما تسلم داريوس الحكم أرسل ربيبه، عزرا، مع مجموعة من العائدين الجدد لحضّ الآخرين على بناء الهيكل في أورشليم حسب التصميم الذي كان قد أعده قورش، ومن المفترض أن البناء قد تمّ في العام ٥١٦ قبل الميلاد.

بعد ذلك توالت الإنشقاقات عند اليهود، خاصّة في زمن الحكم اليوناني الذي تلا الحكم الفارسي. فالحزب الذي والى اليونان رافضاً الأخذ بالأفكار الإيمانية الفارسيّة، تسلّم السلطة وعُرف بالصديقين نسبة للكاهن صدوقيا الذي ولاّه اليونان. في حين أن اليهود المتدينين المعروفين بالأتقياء، أو الحسيديم Hassids فقد رفضوا موالاة اليونانيين وبقوا على ولائهم للأفكار الفارسية فعرفوا بالفريسيين، ومنهم انشقّ الأسينيون.

رغم محاولات غلاة الفريسيين إقناع المنشقين من إخوانهم بأن ما يعبده الزرادشتيون هو نفسه يهوه، معبود كل شعوب العالم، وبأن الزرادشتية هي دين توحيدي، يجمع الآلهة كلها على اختلاف اسمائها ومواطنها ومواقع عبادتها، في إله واحد يمكن إطلاق أي إسم عليه، دون حصره بإسم أهورامازدا أو غيره من الأسماء، وعلى هذا كانت فكرة إقامة هيكل له في أورشليم، فيصبح هيكلاً (ليهوه)بعد توحيد المفهوم حول وحدة الإيمان بالإله الواحد. وقد جاء في سفر أشعيا، الإصحاح الخامس والأربعين في الفقرة الأولى ما يلي: "**هكذا يقول الرب لمسيحه قورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً وأحقاء ملوك أحلّ لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق**".

ثم يتابع فيقول في الفقرتين ١٢ و ١٣ "**أنا صنعت الأرض، وخلقت الانسان عليها، يداي أنا نشرتا السموات وكل جندها. أنا أمرت. أنا قد انهضته بالنصر وكل طرقه أسهّل. هو يبني مدينتي ويطلق سبي لا بثمن ولا بهديّه. قال رب الجنود**".

على الرغم من الزعم بأن يهوه هو من أنهض الدولة الفارسية ومن ساعد قورش على فتح البلاد ليدوس أممها وأحقاء ملوكها، فلم يستطع الفريسيون فرض قناعاتهم على سائر المجتمع اليهودي الذي رفض أي دمج ليهوه بأية آلهة أخرى، لأن هذا الدمج، حسبما يعتقدون سيؤدي الى إزاحة يهوه عن الألوهية، لأن الحاكم القوي هو الذي يفرض إلهه، وبالتالي فإن يهوه سيكون عرضة للزوال.

في مقابل هذا تقول نقوش مزهرية قورش المكتشفة في إحدى تلال بابل "إن الرب العظيم، مردوك، مخلّص شعبه، توجه إلى مدينته بابل كصديق لملكها". وتشير الكتابة إلى أن قورش إحتل بابل دون إراقة دماء، مُرْضياً بذلك مردوك العظيم.

وفي نقوش اخرى يقول قورش:"**مردوك الإله العظيم، جعل قلوب شعب بابل الشريفة تميل نحوي، لأني كنت أتوجّه**

إليه يومياً بصلاتي بكل جوارحي، فلتصلّ كل الآلهة التي أحضرتها معي، لمردوك كي يطيل عمري مع ولدي قمبيز".

في مقابل ذلك تقول النقوش المكتشفة في منطقة Behistum العراقية على لسان داريوس "عظيم هو الرب أهورامازدا الذي خلق الأرض والسماء". وتتابع النقوش فتقول "إن أهورامازدا قد خلق الأرض ليعطيها لي".

ويتبين من ذلك، أن أهل بابل قبل فتح قورش لها كانوا يعبدون مردوك، وما توجّه قورش بالصلاة إليه إلا لاستمالة أهلها بغية تسهيل دخوله إلى المدينة. في هذا الوقت، إنتشرت عبادة أهورامازدا، بعد أن ضُمّ الإله مردوك اليه، فأصبح أهورامازدا، إلهاً عالمياً. من أجل ذلك، خشي المتشددون اليهود من أمر ضمّ يهوه إلى أهورامازدا، لأن تجربة ضم مردوك إلى إهورامازدا، والتي انتهت بازالة مردوك، لا تزال عالقة في أذهانهم مذ كانوا في بابل.

ما بين سنة ٤٤٥ قبل الميلاد و سنة ٣٩٧ قبله، بعد قمع ارتحششتا الأول Artaxerxes لثورة المصريين الثانية، أرسل الأمراء الفرس إلى منطقة ما بين النهرين لحكمها، فشجّعوا الكهنة المجوس على إعادة الإعتبار للإله مردوك الذي دُمِجَ بأهورامازدا، وفي نفس الوقت شجعوا العائدين من اليهود

ومن بينهم نحميا وعزرا للترويج لفكرة الإله العالمي، أهورامازدا، بين شعوب المنطقة تحت اسم الإله المحلي يهوه.

جاء نحميا سنة ٤٤٥ قبل الميلاد لنشر دعوته المشروطة بالولاء السياسي المطلق للدولة الفارسية، فأقام مأدبة لمئة وخمسين والٍ ويهودي، تطهّروا جميعاً، قبل تناول الغداء، تماماً، كما يفعل الزرادشتيون والأسينيون على السواء. "**وكان على مائدتي من اليهود والولاة مئة وخمسون رجلاً، فضلاً عن الآتين إلينا من الأمم الأخرى حولنا**" (نحميا: ١٧).

على الرغم من جهود نحميا لإقناع اليهود بالدعوة الجديدة، المقنّعة، فقد رفض السكان الأصليوّن، الذين بقوا في السامرة وجبال يهودا، التعاليم الجديدة وخوفاً من تمردهم وانضمامهم للمصريين، أعداء الفرس، فلقد أرسل لهم أرتحشستا في السنة الرابعة لحكمه، ربيبه عزرا، الكاهن، لتعليمهم الدين الجديد مزوّداً إياه بتعليمات مهمته المذكورة في عزرا الإصحاح السابع، والفقرة العاشرة: "**لأن عزرا هيأ قلبه بالتفصيل لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلّم إسرائيل فريضةً وقضاءً**".

والسؤال ينبثق من نفسه: أية فريضة جاء عزرا ليعلمها؟ وأي قانون جاء به؟.

أليس من المفترض ان يكون لهؤلاء المسبيين العائدين قانونهم وشريعتهم لألف سنة خلت كما يدّعون؟.

هل نسي هؤلاء شريعة موسى، لو كانت موجودة، بالفعل، قبل السبي؟

فلو كانت هذه الشريعة موجودة، فهل كان عزرا بحاجة لتعليمهم شريعةً جديدةً؟.

أوليست هذه الشريعة الجديدة من استنباطه أثناء وجوده في السبي بعد تأثره بالأفكار الفارسية واقتباسه من مخزون ما فيها من عادات وتقاليد ومكتسبات فكريّة وفلسفيّة ودينيّة يختلط فيها الوهم بالواقع؟.

جاء في الاصحاح الثامن من سفر نحميا أن عزرا قرأ من كتاب الشريعة ببيان وفسّر المعنى وأفهمهم القراءة، وفي اليوم التالي طلب منهم العودة إلى الجبال لإقامة عيد المظال والإحتفال به في الشهر السابع (أيلول) الذي لا يزال معمولاً به، حتى اليوم، في إسرائيل. ويذكر عزرا ذلك في الإصحاح السادس: "... **وأكله بنو إسرائيل الراجعون من السبي مع جميع الذين انفصلوا إليه من رجاسة أمم الأرض ليطلبوا الرب إله إسرائيل، وعملوا بعيد الفطير سبعة أيام بفرح لأن الرب**

فرّحهم وحوّل قلب ملك أشور نحوهم لتقوية أيديهم في عمل بيت الله، إله اسرائيل".

لماذا يحتاج اليهود الى التحوّل إلى اليهودية كما ذكر عزرا؟ أولم يكونوا يهوداً قبل ذلك؟.

ألا يثبت هذا أن يهوه، هذا، ليس إلا اهورامازدا، وقد أُسقِطَ القناع عنه وتغيّر إسمه وموقعه؟.

وكتاب الشريعة، هذا، أوليس نسخة محرّفة عن كتاب الفنديداد Vendidad كتاب الزرادشتيين المقدّس، وقد أضاف إليه عزرا ما شاء له أن يضيف، وأن يتصرّف بمعناه ما شاء له التصرف، وها هو يُظْهره بوجهٍ جديدٍ ومعاني جديدة وَصُورٍ توافق مشاعر وأحلام هؤلاء المسبيين بالخلاص والعودة الى الديار التي حضنتهم وآباءهم فاستغلوها وأستسهلوا اغتصابها وامتلاكها؟

كتاب الشريعة، هذا، الذي قرأ فيه عزرا، هو كتاب التوراة البابلية، الذي كتبه عزرا حوالي سنة أربعماية قبل الميلاد، فحيوانات سفر التكوين الطاهرة وغير الطاهرة المذكورة أيضاً في سفري اللاويين وحزقيال قد ورد ذكرها في كتاب الفنديداد Vendidad، كذلك، شعائر التطهير وشروط تقديم الذبائح التي أوردها كتاب التوراة في الأسفار الخمسة

المنسوبة لموسى، فهي شعائر زرادشتية اقتبسها اليهود عن الفرس وطبّقوها في بلادهم، خاصة الأسينيين منهم، ومن بينهم يوحنا المعمدان وغيره من الذين كانوا يلجأون إلى تغطيس الناس في الأنهر قصد تطهيرهم، ومن بعدهم، لا يزال المسيحيون يمارسون طقس العماد للتطهر والذي كان يمارس عند الهنود منذ العصور الأولى للحضارة الإنسانية والذي لا يزال يمارس عندهم قصد التطهر.

كما إنّ إحتفالات عيد المظال التي أقامها عزرا في الشهر السابع هي احتفالات الأعياد الزرادشتيه "الأياتريم". هذا بالإضافة ألى أن الديانة اليهودية تقول بالثنائية الزرادشتية، مع فارق بسيط، هو أن الإله التوراتي هو إله لا يملك القدرة أو لا يريد إستعمالها ضدّ إله الشر. إذ أن الشيطان هو ملاك عصى أمر الله ولا تريد التوراة أن تقول لماذا لم يستطع، أو لماذا لم يرد هذا الإله انهاء تمرّده! في حين أن الزرادشتيه تقول بأن أمر الخير والشر متروك للإنسان دون غيره ولا إرادة للإله خالق الشر والخير، الظلمة والنور، في إلغاء ذلك من الناس!..

أمام هذا التناقض في حصرية سلطة الخلق، يتساءل أبيقور الفيلسوف اليوناني الذي عاش بين ٣٤١ و٢٧٠ قبل الميلاد، والذي كان يدعو إلى ان اللذة يجب أن تكون بتنمية

الروح وتطبيق الفضائل فيقول: "إذا كان الإله كليّ القدرة، وكليّ الخير فلماذا يوجد الشر في العالم؟ أما إذا كان هذا الإله يريد القضاء على الشر ولا يستطيع وفي هذه الحال يكون عاجزاً وغير كلّي القدرة، وبالتالي لا يستحق التأليه والعبادة. وأما أنه يستطيع ولا يريد، وفي هذه الحال، يكون شريراً وشيطاناً ساديّاً يتلذذ بعذاب ضحاياه! وأما أنه لا يستطيع ولا يريد وهذا أمر يتنافى كلّياً مع رأي العباد فيه. وأما أنه يريد ويستطيع فيبقى السؤال من أين أتى الشر إذن، ومن هو المسؤول عن مفاعيله؟.

يردّ الزرادشتيون على قول أبيقور الذي تأثر به اليهود، فيقولون إن الله هو خالق الشر والخير، الظلمة والنور، أي الثنائية المتناقضة في الشكل، المتكاملة في الفعل، وعلى الإنسان ان يتقبّلها في الشكل والفعل، إذ بدون الشر لا معنى للخير، وبدون الموت لا معنى للحياة، وبدون الظلمة لا وجود للنور. فمن الضد يكون الضد، والتكامل يكون بوجود النقيضين على حد سواء. ويقول القديس أوغسطينوس "**إن الخير هو إنتفاء للشر. ووجود الشر هو انتفاء للخير**".

فالله لا يسامح عن الأخطاء لأنه لم يسمح بها. فمن يرتكب الخطأ يُصلِحُه. فالخطايا والأمراض والإضطرابات لا

علاقة للخالق بها؛ فهي مرتبطة بتصرفات الإنسان الذي هو وحده الذي يستطيع إصلاحها وتعديلها وتجنّبها وبالتالي إلغاءها. فالمرض ليس كما يعتقد اليهود وغيرهم مُرسلٌ من الخالق لعقاب المخلوق، وإنما هو ناتجٌ عن عدم إدراك الإنسان لشروط الصحة والحياة وعن عدم شمولية معرفته لنفسه ولتلك الشروط. وأما ارتكاب الشر مع الإنسان الآخر، فلا علاقة للإله بالغفران، وإنما يأتي الغفران من الذي أُسيء اليه، بعد ندم المُسيء والإعتذار والتعويض. وقد جاء في أحد كتب الحكمة للموحّدين الدروز الذين تأثروا بالفلسفة الهرمسية واليونانية والمصرية والهندوسية ما يطابق هذا التفكير "**إنّ مولاكم غني عن عبادتكم، منزّه عن ديانتكم، لا يزيد في ملكه طاعة من أطاعه، ولا ينقص من ملكه معصية من عصاه، وإنما أعمالكم تردّ إليكم، فما يصيبكم من سوءٍ في زمانكم فهو من سيء أعمالكم**".

أما بالنسبة للكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والأعاصير فإن التعاليم الهندوسية، التي أخذ عنها الزرادشتيون، فتقول أنها ناتجة عن تصرفات الكائنات، اذ إنّ جميع تأوهات وصرخات الألم والظلم التي تطلقها جميع

الكائنات، فإنها تجتمع في مكان ما من هذا الكون ثم تعود إليه منتقمة بشكل بركان أو إعصار أو زلزال.

بناء على كل ما جاء يقول الفيلسوف اليهودي المتديّن وات-زور Wat-٢٠R "هناك الكثير من المسائل المشتركة بين اللاهوتين اليهودي والزرادشتي ولا يمكن الفصل بينهما".

هذه الوحدة في مفاهيم الألوهة التي دعت إليها الزرادشتية قصد السيطرة السياسيّة من خلال انتشار الفكر الديني، لم تقلق قورش او داريوس أو أرتحششتا، ما دامت قوانين الدولة الفارسية مُطاعة والتوجه إليها واحد. فأهورامازدا وإن تغيّر اسمه فأصبح يهوه، هو إله النور والظلمة، اله الخير والشر، خالق السموات والأرض كما يقول أشعيا: **"لكي يعلو من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري. أنا الرب وليس آخر، مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه". (أشعيا ٤٥: ٦-٧).**

بعد دمج الإله مردوك بالإله أهورامازدا، انتشرت عبادة الميترا، إلهة الشمس، وهي الرمز الموحّد لجميع الآلهة، في كل البلاد الخاضعة للحكم الفارسي، واعتبرت الزرادشتية أن يهوه حليف جيّد وبالتالي يجب معاملة أتباعه كحلفاء ومساعدتهم لنشر مفاهيمهم التي تبنّوها من الزرادشتة وإن بطريقة معدلة

ومكيّفة، وبذلك أُثبت يهوه في فلسطين محلّ الإله الكنعاني إيل، تطبيقاً لما جاء في سفر التكوين: "**أنا إله بيت أيل حيث مسحت عموداً، ونذرت لي نذراً**" (تكوين ٣١:١٣).

تجدر الإشارة الى أن المؤرخ اليوناني هيرودتس الملقّب بأبي التاريخ الذي عاش بين سنة ٤٨٠- ٤٢٥ قبل الميلاد، لم يذكر شيئاً عن يهوه وعن شعبه المختار كم لم يأت على ذكر هيكل مزعوم له في أورشليم، المفترض أن يكون قد تمّ بناؤه قبل ذلك بحوالي أربعين سنة أي في العام ٥١٦ قبل الميلاد، في حين أنه ذكر الختان، كتقليد تأثرت به فلسطين والمنطقة المجاورة لها.

بين العادات والتقاليد الفارسية الرائجة في ذلك الوقت والتي تأثر بها اليهود وأخذوا بها الابتعاد عن لمس الجثث باعتبارها نجسةً، لذلك، كانوا يدفنون موتاهم في قبور محفورة في الصخر خشية تلويث الجثث للتربة. كما أن اليهود أخذوا عن الزرادشتية قوانين الطهارة أثناء دفن الميت، إذ كان يُفْرض على المشيّعين الابتعاد ثلاثين خطوة عن الجثة خوف التّنجس. وكانوا يتجنّبون ملامسة أي شيء يخرج منها، كما تأثروا بهم بما يختص بنجاسة المرأة أثناء فترة الحيض وبعد الولادة، وكانوا مثلهم يحرمون دخولها إلى الهيكل أو تسلّمها أيّة وظيفة

دينية. كما توارث الكهنة اليهود عن الكهنة المجوس مهنة الكهانة المحصورة بالتوارث، كما نقلوا عنهم التطهر بالاغتسال بماء رماد عجلة بكر، وقد احتفظ اليهود بهذه العادة، إذ أن التقليد الديني في كتاب الميشنا Mishnah يقضي بحفظ رماد عجلة حمراء في إناء مقدّس يوضع في مدخل باحة الهيكل. ويذكر الكتاب أن رماد تسع عجلات حمراء قد تمّ حفظها، منذ زمن موسى وحتى تدمير الرومان للهيكل الثاني سنة ٧٠ بعد الميلاد على يد تيطس. ولعل عادة المسيحيين بوضع جرن للماء المقدس على يمين مدخل الكنائس ليتطهر به المصلّون لدى دخولهم الكنيسة، مأخوذة عن اليهود ومن سبقهم، ولكن بشكل معدّل، إذ يخلو هذا الماء من رماد العجلة الحمراء، فهو ماء نقيٌّ صلّى عليه الكاهن لا غير.

وعادة ترميد المصلّين، في اليوم الأول من طقس الصيام عند بعض الطوائف المسيحية، هي من مشتقات هذا الطقس اذ يعمد الكاهن الكاثوليكي إلى رسم إشارة الصليب بواسطة الرماد، على جبهة المؤمنين قائلاً:" تذكّر يا إنسان أنك من التراب وإلى التراب تعود". كما أن عيد العنصرة Pentecost الذي يحتفل به المسيحيون بعد خمسين يوماً من عيد الفصح، هو نفسه عيد "الشافوت" الذي يحتفل به اليهود بعد

خمسين يوماً من عيد الفصح تطبيقاً لما جاء في سفر اللاويين ٢٣: ١٥-٢١: "**ثم تحسبون لكم من غد السبت خمسين يوماً، ثم تقرّبون تقدمة للرب... وتنادون في ذلك اليوم عينه محفلاً مقدساً يكون لكم... فريضةً دهريّة في جميع أجيالكم**".

أما النار وهي في أساس الشعائر والطقوس الزرادشتية لأنها تمثّل الشمس، فيجب إبقاءها مشتعلة داخل الهياكل وتَغُذّى بشحم ودهن الأضاحي الخالية من كل عيب أو تلك المكسورة، وليس من الصدفة ألا تُكْسَر ساقا يسوع حين صلبه، على اعتبار أنه الضحيّة المقدّمة عن البشريّة جمعاء، في حين كُسرت سيقان المصلوبين إلى جانبيه. ولا تزال عادة ذبح أحد الحيوانات على عتبة البيوت الحديثة البناء أو في اساساتها موجودة في الريف اللبناني والسوري والفلسطيني.

لقد أخذ اليهود عن الزرادشتية فكرة إبقاء النار مشتعلة داخل الهياكل التي تمثل أشعة الشمس، هادية الجنس البشري، ونور العالم، فمثّلوها بالشمعدان السباعي اللهِب "المينورا" الذي يتصدّر هياكلهم ومجالسهم الدينية، ومن ثم اخذ المسيحيون عنهم هذه الفكرة معتبرين أن يسوع هو نور العالم؛ وما إضاءة الشموع في الكنائس الإ توالٍ لتمثيل نور الشمس. ويلاحظ أن الصلبان تحاط في وسطها بزخرفات ذهبية اللون لتمثل لون

أشعة الشمس. ولا يغفل عن البال أن الفرس هم أول من أدرج استعمال الحلى الذهبية إبتداءَ من الألف الثالث قبل الميلاد لان لونها يرمز إلى لون لهب النار المتأججة.

مع توالي الأزمنة تفرّد اليهود بيهوه الزرادشتي الأصل، وغالوا بانتمائهم إليه وحاربوا لأجله آلهة اليونان والمصريين والرومان. ولا يزالون يتفرّدون ببنوتهم له أو بأبوتهم له، على حدٍ سواء. وأيّاً يكن نكران اللاهوتيين والعلماء اليهود أو المتحمسين من المسيحيين لتأثير الفكر الزرادشتي على اليهودية، فإن المُلاحِظَ والمُطّلعَ العقلاني يكتشف، في جميع الممارسات والطقوس اليهودية والمسيحية، الكثير من الفكر الزرادشتي ويقول مونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥ بعد الميلاد) في كتابه "روح القوانين" "إن زرادشت هو المشرّع الأول للإنسانية".

ولا ينفي العالم والفيلسوف لورنس ملز Lawrence Milles من جامعة كمبردج الذي ترجم الأفستا، وهو كتاب الزرادشتيين المقدس، في جميع مقالاته، تأثير الزرادشتيه على اليهودية.

ويذكر العالم كينغ C.W. King (١٨٨٧ بعد الميلاد) "إن الله عاقب اليهود لأخذهم بمفاهيم الإيمان الزرادشتية وبفكرة

الإيمان بالملائكة المحيطين بالعرش وبفكرة البحيرة المتقّدة بالنار والكبريت. ومع معرفة رجال الدين بأن الجنة والنار هما من نتاج الفكر الفارسي، فهم لا يجرؤون على التصريح بما يعرفونه عن اصل ما يبشّرون به، دون أن يؤمنوا هم أنفسهم بذلك".

ومغالاة في المكابرة يقول بعض غلاة العلماء اليهود إن الفرس هم من تعلّم منهم أثناء في وجودهم في السبي ويستشهدون على ذلك بقتل أهل بابل لمروداك إبن نبوخذنصر لاعتناقه اليهودية. كما يستشهدون بالفتاة اليهودية، أستير، وتأثيرها على قورش العظيم. ويقول ماكس مولر Max Muller "**لم يكن لليهود قبل سبيهم أي اطلاع على فكرة الثواب والعقاب واليوم الآخر، والجنة والبحيرة المتقّدة حيث النار لا تطفأ والدود لا يموت. وكل ما ورد في سفر المزامير وسفر الرؤيا وحزقيال، وما جاء في بعض العهد الجديد خاصّة في سفر الرؤيا، يثبت أن هذه الأسفار دونّت بسبب تأثير الفكر الفارسي على أفكار كتّابها**". وفي هذا السياق يقول الدكتور ويست West "إن قلّة من المسيحيين يمكنهم الإقرار بأنهم مدينون بمفهومهم عن البعث واليوم الآخر لتأثير الفكر الفارسي".

يقول المؤرخ توينبي "**إن الزرادشتيه هي أول ديانة وضعية عالمية**". ويعتبر بعض الباحثين أن زرادشت هو شخصيّة وهمية لأن ما كتبه يفوق قدرة الإنسان العادي، وإن الكثير من القصص المنسوبة إليه، وُضِعت في مراحل لاحقة من حياته. مع ذلك، فإن الأقاويل لا تنفي عظمة زرادشت كمعلم أثّر على الحياة الانسانية اللاحقة لعصره، خاصة ما بين الألفية الأولى قبل الميلاد ولغاية الألفية السابعة بعد الميلاد.

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

زرادشـــت

*

"ما وجدتُ شيئاً جديداً، لكنني اكتشفته فقط"

"لافوازييه"

*

قبل حكم الملك الفارسي كزانتوس الليدي Xanthos of Lydia لم يأت أي من ملوك الزرادشتيين الفرس القدماء على ذكر زرادشت، لكن كتاب الزرادشتيين المقدّس الأفستا Avesta المنسوب لزرادشت، المتضمن لتعاليمه الغاتا Gathas المشابهة لتعاليم Vedas الفيدا، الهندية، يحكي عن زرادشت ولادة، وحياة، وفلسفة. هذا التشابه بين الكتابين المقدّسين الأفستا والفيدا، فكريّاً واخلاقيّاً، جعل بعض النقّاد اللاهوتيين يقولون بأن الكثير من القصص المنسوبة لزرادشت قد وُضِعَت في مراحل لاحقة لحياته، مما يسبب خلطاً فكريّاً أدى إلى التباس في توضيح مولده زماناً، وكيفية، ومكاناً.

كل ذلك لا ينفي عظمة زرادشت كمعلم كبير أثّر بشكل فعال على الفكر العالمي، فقد تأثر به الفكر اليوناني الذي كان يعتبره فيلسوفاً وعالماً فلكياً ملّماً بعلوم الرياضيّات ومتضلّعاً بالطب، ومتملكاً من سائر علوم الحياة. أما اليهود فكانوا

يعتبرونه أثناء وجودهم في السبي واحداً منهم ومن اصل يهودي مدّعين أن إسمه هو باروخ Baruch وقد وُلِدَ في الأرض الميدية من أمّ يهوديّة وأب من عائلة كهنوتية نبيلةٍ كانت تمارس التنجيم والطب والتنبؤ والتي تُعرف بإسم المجوس أو عبدة النار. ولا يوجد أي إثبات للإدعاء اليهودي، سوى، أنهم أرادوا به تبرير تأثّرهم بالدين الجديد وقبولهم دمج الإلهين يهوه وأهوامازدا بإله واحد ليصبح الإلهان إلهاً واحداً، وإن اختلفت تسميته ومكان وجوده وذلك تقرّباً من الحكم الفارسي وتبرئة مسبقة لضمّهم أهورامازدا إلى يهوه. أما بعد عودتهم من السبي، فأنكروه واعتبروه ساحراً ومتنبئاً داعياً وزنديقاً خارجاً عن الدين. ولم تر المسيحية فيه أكثر من ذلك.

بقيت لغة الأفستا وهي اللغة المقدسّة والرسميّة في بلاد فارس إلى أن أبطل استعمالها الملك الساساني خسرو الأول (٥٣١-٥٧٩) بعد الميلاد، وحارب اتباع المذهب الزرادشتي ولما إحتلّ الإسكندر المقدوني بلاد فارس سنة ٣٣١ قبل الميلاد دمّر الكثير من كتب الأفستا، ثم في مرحلة لاحقة، قضى المسلمون على ما بقي منها لدى إحتلالهم للبلاد الفارسية.

من المؤكد أنّ زرادشت بدأ بالدعوة لديانته قبل أن يفتح كسرى العظيم البلاد الميدية سنة ٥٥٠ قبل الميلاد. وحسبما

يقوله بتروف Petrov في كتابه هيكل زورستر زرادشت" الموضوع على الأنترنت، بأن العادات الزرادشتية كانت منتشرة عام ٥٨٨ قبل الميلاد، أي قبل إحتلال الاسكندر المقدوني لبلاد فارس بمئتين وثمانية وخمسين عاماً. ويقول أيضاً أن ملك خوارزم اعتنق الزرادشتيه وكان عمره اربعين سنة. وهذا يعني أنّ زرادشت قد ولد سنة ٦٢٨ قبل الميلاد، ومات سنة ٥٥١ قبل الميلاد عن عمر سبعة وسبعين عاماً.

بالإستناد إلى تعاليم الغاتا Gathas فإن بعض الباحثين اللاهوتيين الغربيين، مثل العالم ميلز Mills يقول بأن زرادشت قد ولد في الفترة الممتدة بين ٩٠٠ – ٧٠٠ قبل الميلاد. في حين أنّ الدكتوره ماري بويس Mary Boyce تعتبر أنه ولد قبل الألف الأول للميلاد، أي قبل ميلاد بوذا وكونفوشيوس المولودين سنة ٥٥٠ قبل الميلاد، وقبل ولادة لاو تسو Loa-Tse سنة ٦٠٠ قبل الميلاد.

أما إسم زرادشت، حسبما يذكره ديوجين لايرتيوس Diogènes Laertius الذي عاش في القرن الثالث الميلادي بأنه يعني في اليونانية زوريستر Zoroaster الذي يعني نبيّ النجوم. فكلمة زرادشت تعني إلهاً أو نبيّاً أو رسولاً للآلهة ميترا وللإله اهورامازدا. من القصص التي رُويت عن ولادته

وأخذت بها سائر الدراسات أن زرادشت ولد من عذراء حُبلِتْ به من إله سماوي، أرسل فيضاً من نفسه لإخصابها. وتقول الأسطورة أنه أثناء مجامعة الإله أهورامازدا لزوجته هيفوفي Hvovi، سرق الملائكة ثلاثة بذور (خلايا) من منّيه معدّة لإنجاب ثلاثة مخلّصين، يفصل بين الواحد والآخر الف عام. وآخرهم سيظهر ليخلّص العالم ويمحي الزمان والمكان وتفتح مرحلة جديدة من كمال السعادة الأبـديّة للنـاس المخلّصـين، وألقوها فـي بحيرة كيانـسي المقدسّة Kayansih وقام ٩٩٩٩٩ ملاكاً بحراسة هذه البذور. ولدى اغتسال وودغودفا العذراء في مياه البحيرة، اهتزّت مياهها وظهر لها ملاك وقال لها: لقد حُبِلَ بك من الروح القدس وستلِدين المخلّص المنتظر. وهكذا كان، ففي ٢٥ كانون الأول، في اليوم الذي تحتفل فيه الشعوب الفارسية ومن يجاورها بعيد الميترا، المتمثّل بانتقال الشمس من مرحلة الخمود إلى مرحلة التوهّج والاشراق والشعشعانية ولد زرادشت. وقد عمدت المسيحية، فيما بعد إلى إبدال هذا العيد بعيد ميلاد يسوع الناصري، المفترض أنه ولد في الخامس والعشرين من أيلول في سنة ٧٥٩ او ٧٦٠ من بناء روما على زمن ولاية كرينيوس على سورية. فقد جاء في إنجيل لوقا: "**وكان في تلك الكورة رُعاة متبدّون يحرسون**

حراسات الليل على رعيتهم". (لوقا ٢:٨). فالتبدّي في الريف الفلسطيني واللبناني يعني أن الرعاة ينتقلون في أواخر الربيع وإلى أواخر الصيف بقطعانهم إلى البادية أي الفلاة، فيكونون أكثر قرباً من المراعي، ويبتعدون عن القرى تجنّباً للروائح المنبعثة منها.

وقد جاء في القرآن: "**فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً. فناداها من تحتها ألاّ تحزنـــي قد جعل ربك تحتك سرّياً. هزّي إليك بجذع النخلة تُسْقِطُ عليك رُطباً جَنيّاً**". (مريم ٢٢-٢٤).

فشجر النخيل لا ينضج ثمره إلاّ في أواخر الصيف. وهذا إثبات آخر إلى أنّ ولادة يسوع قد تمّت في أواخر فصل الصيف.

لدى ولادة زرادشت ضحك بصوت عالٍ ليثبت أن الولادة الى الحياة الماديّة هي جيّدة لأنها جزء من خلق الله الجيّد. وتقول القصة أنّ الشيطان حاول استمالته لمنعه من نشر تعليمه، ولدى إصراره على ذلك، هدده بالموت إذ كان يافعاً قبل تنسّكه. ترعرع زرادشت على حب الحكمة وقول الحقيقة وإن لم يكن على درجة عالية من الثقافة، لكونه بقي في منـــزل والديه حتى اعتزل بعدها في الصحراء لمدة عشر سنوات يتأمل

خلالها في أسرار الطبيعة والخلق. وأثناء اغتساله، فجراً، في النهر ظهر له أحد الملائكة وأعطاه كوباً محضّراً من فطر القسطر Amanita Muscaria، وهو فطرٌ يسبب الهلوسة والهذيان، ولما شرب، رأى نفسه بحضرة الإله أهورامازدا Ahura Mazda على قمة جبل عالٍ، محاطاً بستة ملائكة Amesha Spentas. فعلّم أهورامازدا زرادشت الحكمة وأطلقه نبّياً له.

استجاب زرادست للدعوة التي لاقت معارضة شديدةً من التقليديين. ولما اعتنق الملك Vishtaspa الزرادشتية ساعده في نشر تعاليمه التي عمّت جميع البلدان الكائنة تحت السيطرة الفارسية.

لم يتعفف زرادشت في حياته، اذ بعد أن ثـبّت نفسه في قصر الملك Vishtaspa تزوج من ثلاث نساء، كانت إحداهن إبنة وزير الملك. وتقول بعض الروايات انه كان يسافح أخواته السبع كذلك إحدى بناته. ويبرر الزرادشتيون المسافحة بين الأب وبناته وأخواته وبين مسافحة الأخوة فيما بينهم، وذلك تشبّهاً بمسافحة حواء لأبنائها، وللأبناء مع أخواتهم، بغية حفظ النسل الجيّد، ومكاثرته. لذلك يبرر عزرا مسافحة يهوذا لكنته ثامار، كما يبرر زواج اليهوديات من غير اليهود، على الرغم

من منع سفر التثنية لذلك، وذلك بغية حفظ النسل على أساس أن إبن اليهودية هو يهودي، كذلك فإن مسافحة بنات يعقوب لوالدهن مبررة لنفس الأسباب.

من دراسة تاريخ لأسماء، خاصة، تلك المتعلّقة باسم الملك Vishtaspa أو Hystaspes الذي اعتنق الزرادشتية، يبدو أن مفاهيم هذه الديانة كان معمولاً بها على زمن سرجون الأكادي الثاني سنة ٧١٥ قبل الميلاد. واقتصر دور زرادشت على توحيد هذه التعاليم المأخوذة عن الهندوسية وجمعها في كتاب واحد هو الأفستا، مما هيأها للانتشار في منطقة كبادوكيا، أولاً، أي أرمينيا وتورانيا، والتي أثرّت بشكل خاص على المتنبئين اليهود من أمثال نحميا، وعزرا، وأرميا، ودانيال، وأشعيا وحزقيال... الذين اقتبسوا الكثير من الأفكار الزرادشتية على شيء من التحريف، والكثير من التضليل بغية إخفاء الشواهد المؤثرة على الاقتباس والنحل في الدين اليهودي.

هذا الغموض في تاريخية ولادة زرادشت وتأسيسه لدعوته لم يمنع نشر الدعوة ولم ينفِ وجود مؤسسها، كما لا ينفي تأثيرها على الأديان اللاحقة.

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

نشأة الكون الزرادشـــتيّة

*

"الساكت عن قول الحق، شيطان أخرس"

"أبو علي الدقّاق

*

رأى زرادشت في الكون قوّتين توأمين على تضادٍ دائم.روح الخير الخالقة له تتمثل بأهورامازدا الذي خلق الأكوان من العدم لمجرد التفكير بها. وعندما أصبحت الأكوان على شكلها المادي، تدخّلت روح الشر المتمثّلة بأهريمان، لإفساد حياة مخلوقات الأرض. والصراع بين إله الخير أهورامازدا، وبين نقيضه إله الشر اهريمان، سيؤدي إلى عذاب مخلوقات الأرض، إلى أن تنتهي المعركة بانتصار الخير، فيزول الزمان ويعيش العالم بسلام وديمومة سعادة تحت راية أهورامازدا وحده.

من نتيجة تدخل أهريمان لمعاكسة الخير، أن أوجد الزمان فأحدث الموت، ثم أوجد الرغائب فكانت تعاسة الانسان. وبما أنّ الموت هو من محدثات إله الشر فإن الفرس كانوا يتجنبون ملامسة الميت باعتباره نجساً من نجس. لذلك اهتموا بالنظافة والتطهّر ودفن الأموات في قبور صخرية لأن تحلّلها

يُفْسِدُ تراب الأرض وينجّسه. كما كانوا يمنعون ترك المصلوب معلّقاً بعد غياب الشمس لئلا يفسد الهواء. وقد أخذ اليهود بهذه العادات، لذلك أُنزل يسوع عن الصليب بعد غياب الشمس، ليس لأن اليوم التالي هو يوم سبت كما يقولون، بل لأن إبقاءه معلّقاً على الصليب لليوم التالي يُفْسِدُ الهواء.

بنتيجة المعركة الكونيّة بين أهورا مازدا وأهريمان، التي أخذ عنها يوحنا في رؤياه، سينتصر إله الخير ويثاب أتباعه بالحياة الأبدية السعيدة، بينما يُفنى أتباع الشرّ أو يُلقون إلى الأبد في جهنم رؤيا يوحنا اللاهوتي، حيث النار لا تطفأ والدود لا يموت. بهذه الصورة المنقولة عن المعتقد الزرادشتي، عبّر عنها يوحنا اللاهوتي في كتاب الرؤيا الذي كتبه أثناء نفيه إلى جزيرة بطمس. هذا الكتاب كان سبباً للخلاف بين اللاهوتيين المسيحيين، الذي استمر لأكثر من الف وخمسماية سنة بعد كتابته والذي لا يزال بعض المسيحيين يرون فيه كتاباً مشبوهاً، حيث يختلط الخيال بالهلوسة، والإيمان بالخوف من الإله الدموي القاتل. وانقسم علماء اللاهوت المسيحي، فالبعض منهم لا يقبل بهذا الكتاب لأنه لا ينسجم مع تعاليم المحبة والتسامح والفداء التي بشّر بها يسوع، والبعض الآخر المتشدد والمؤمن بجذور المسيحية التوراتية كالبروتستانت، والإدفنتست

وشهود يهوه، ومن يدور في فلكهم من المبشّرين بقرب حصول اهرمجدون، المعركة الكونيّة، التي ستنشب بين أتباع الشر وأتباع الخير وستكون الغلبة فيها للمسيح وأتباعه، الذي سيعيد الملك لإسرائيل بعد جمع شتات اليهود ويسيدّهم الى الأبد.

آمن اليهود بنظرة الخلق الثنائية، كذلك أخذت بها المسيحية خاصة بعد الإعتراف بسفر الرؤيا وضمّه الى الكتاب المقدس، فَحُمّلَ الخالق وزر خلق الشر تصديقاً لما جاء في التوراة على لسان أشعيا "**أنا الرب وليس آخر. مصدر النور وخالق الظلمة. صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه**". (أشعياء٤٥:٧).

هدف الشر في الزرادشتية إفساد روح الخير التي أوجدها أهورامازدا، وبما أنّ العالم هو من خلقه فهو خير لأنه من أصل خيّر. وقد آمن **جان جاك روسو بهذه النظرية فقال: إن الانسان يُولد خيّراً بطبيعته ثم يفسده المجتمع**".

هذا المفهوم يتناقض مع تعاليم المسيحية التي ترى أنّ العالم شرير بأصله ويستحق الدمار. وفكرة الخطيئة الأصلية الملازمة للخلق الانساني، هي في أساس عذاب الانسان ومرضه وموته.

أما التعاليم الزرادشتية فارتكزت على الخيار الأخلاقي الحرّ للإنسان. فمن خلال الأعمال والأفكار والكلمات، يرسم الإنسان مصير حياته في الدنيا والآخرة، وقد أُعْجِبَ فولتير Voltaire فيلسوف الثورة الفرنسية بهذا المبدأ فقال: "**امتنع عن القيام بعمل لا تتأكد من خيره وصلاحه**".

فالتعاليم الزرادشتية تمنع المؤمن من الإتيان بأي عمل شرير أو حتى من التفكير به. فإذا حدث أن حلم أحدهم حلماً يسيء فيه إلى جاره، فعليه عند الصباح أن يأتي جاره، ومعه هدية، فيطلب منه السماح والغفران لأنه أساء إليه أثناء الحلم.

كما أن من الكبائر التي يرتكبها المؤمن، الكذب، لأنه أصل الشر، كما أوصت التعاليم المذكورة في كتاب الغاتا Gathas بالرأفة بالحيوانات والإحساس بمشاعرها لذلك منعت ذبح الحيوانات أو قتلها بغية أكلها لأن قتلها أو ذبحها يعني إنكار حقها في نعمة الحياة التي وهبها لها أهورامازدا.

ومن الوصايا المُلزمة للمؤمن الزرادشـــتي:

١- نظافة الجسد اليومية وبعد القيام بأي عمل.

٢- غسل المولود يومياً ولمدّة أربعين يوماً.

٣- اعتزال النساء أثناء فترة الحيض ولمدة أربعين يوماً بعد الولادة.

٤- إلتزام إرتداء الزنار المقدّس ليلاً ونهاراً إلاّ في فترات الإغتسال.

لذلك أخذ اليهود المتشددون بهذه الطريقة، فراحوا يتمنطقون بأحزمة مذوأبة، إثباتاً للإلتزام بتطبيق الشريعة: **"إعمل لنفسك جدائل على أربعة أطراف ثوبك"** (تثنية٢٢:١٢)

٥- الاحتفاظ بنقاء عرق الجماعة والزواج فقط بين أفرادها الزرادشتيين.

وقد شددت تعاليم الشريعة اليهودية على الإبقاء على نقاء العرق اليهودي بعدم الزواج من غير اليهود. وعلى الرغم من التشدد في عنصرية الزواج فلم يلتزم اسماعيل بن ابراهيم، ويوسف إبن يعقوب ثم موسى وداود وسليمان وغيرهم وغيرهم بهذه الوصية. فالشرائع والقوانين يسنّها الأقوياء ليطبقّها الضعفاء.

٦- المشاركة في الإحتفالات والشعائر الطقسيّة. كذلك تذكّر الأموات والمشاركة في زيارة قبورهم.

٧- احترام الشيوخ وأصحاب المقامات.

٨- التكفير عن الأخطاء المرتكبة عن قصد أو عن غير قصد.

٩- احترام العهود والمواثيق.

تاريـــخ أم تأريـــخ

*

"إن التاريخ كذبـــةٌ مُلفّقةٌ، مُتّفقٌ عليها"

نابوليون بونابرت

*

لم يكن لليهود قبل السبي البابلي، أيّة مخطوطات أو تاريخٌ مكتوبٌ يثبت حركة تنقّلهم في الأماكن التي مرّوا بها. وما ذُكِرَ في ما يُسمّى كتبهم المقدّسة، ومنها التوراة، ليس أكثر من تصوّرات وأحلام هؤلاء المسبيين لتقليد حضارة البلاد التي عاشوا فيها.

والادعاء المتداول بأن موسى هو كاتب للأسفار الخمسة الأولى، أي التوراة، هو ادعاءٌ باطلٌ، لأنه ليس من المعقول أن يذكر، الكاتب المزعوم، موسى، يوم مماته، ومكان دفنه، **"وصعد موسى من عربات مؤآب إلى جبل نبو. إلى رأس الفســـحة التي قبالة أريحا. فأراه الرب الأرض من جلعاد إلى دان... وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها. وقد أريتك إياها بعينيك ولكنّك إلى هناك لا تعبر. فمات موسى في أرض مؤآب، في الجواء، مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره الى اليوم.**

وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكلّ عينه ولا ذهبت نضارته (تثنية ٣٤: ١-٨).

إنّ ما ورد عن ذكر موت موسى ومكان دفنه الذي لم يعرفه إنسانٌ الى اليوم، إثبات على أن عزرا، يوم كتب هذا السفر، لم يكن أحدٌ قد عرف مكان دفنه. " والى اليوم" تعني يوم كتابة القصّة من قبل كاتبها. وقد حاول الكثير من الآثاريين والمنقّبين التفتيش في جبل نبو، في الفسحة المقابلة لأريحا، عن أي أثر يثبت ما روته التوراة عن مكان دفن موسى، ولكن دون جدوى. بالإضافة إلى ذلك فقد أثبتت المكتشفات في الأرض العراقية، أن قصة آدم وحواء التوراتية مأخوذة بحرفيتها عن الحضارة السومرية، إذ اكتشف ختم يعود إلى ألفي سنة قبل الميلاد، يُظهر شجرة تحرسها أفعى، وعلى جانبي الشجرة صورة رجل، وإمرأة تحاول مدّ يدها إلى ثمار الشجرة والأفعى إلى جانب المرأة.

إن ما يدّعيه بعض المدافعين عن الوقائع التوراتية كحقيقة إلهية ليس إلاّ إيهاماً وتضليلاً، والقصد من ذلك فرض هذه الوقائع الوهمية كحقائق بديلة بعد ضياع عامل الإثبات في غياهب الزمن، وما الصفة الإلهية التي أُعطيت لها إلاّ إثباتٌ لهذا القصد.

فالعزّة الإلهية لا تتكلم ولا تكتب، لأن الكلام والكتابة من صفات وحاجات التواصل في التعددية المجتمعية. فخالق الأكوان الواحد، الأحد، الذي لا شريك له ولا نظير، ولا عديل، ولا كفوءَ، لا يحتاج لأيّة لغةٍ. فالمتوحّد لا يحتاج للكلام وذلك لعدم وجود الآخر الذي يتبادل معه الحديث أو الكتابة قصد التواصل. أما ما يسمّى بالوحي الإلهي فهو ناتج من نواتج التفكير في أحد الأمور، أو نتيجة أحلام وتصوّراتٍ وهلوساتٍ وإرهاصاتٍ تسببها غزارة إفراز مادة الدوبامين الدماغية. وبالتالي فإن التفكير الدائم في أمر ما، يؤدي إلى تكوّن صور للحلول في الصفيحة الدماغية وهذا ما يُعرف بالترائي أو بالظهورات، والتي تسببها الموجات الدماغية ألفا Alpha والتي غالباً ما تظهر أثناء النوم أو أثناء التخيّل والشرود، أو في الحالات المرضيّة الشديدة، والتي إن زادت وتيرتها أدّت لظهور موجات تيتا Thêta المُهَيِّئَة للتصوّرات الخلاّقة وللتأملات التجريديّة.

بمراجعة تاريخ الشعوب لمنطقة فلسطين يتبين أن مواقع إحداث التوراة لا وجود لها على الجغرافيا في تلك الحقبة الزمنية. فبئر سبع والخليل لم تكونا موجودتين في الألف الثاني قبل الميلاد كما تفرضه التوراة لقدوم الشعب العبري إلى

أرض كنعان. والمدن المذكورة في سياق تنقّل إبراهيم تموضعت في القرن الأول قبل الميلاد. وهذا يعني ان التوراة، خاصة، أسفارها الخمسة الأولى، التي بدأها عزرا، قد صُحِّحَتْ بعد الاضافات عليها، أي بعد منتصف القرن الأول للميلاد.

أما بما يختص بإبيمالك، الملك أو رئيس العشيرة الفلسطيني، فهو سامي الأصل، وقد استوطن ما يكفي من الزمن للإندماج بشعب المنطقة فَيُسَيَّد عليها وقد حصل هذا في القرن الخامس قبل الميلادوليس قبله كما ترويه قصّة وجود أبرام في المنطقة. كما إن الملوك الخمسة المذكورين، المتحالفين لقتال اليهود، كذلك مدن البحر الميت، التي تقول التوراة بتدميرها مثل مدينتي سدوم وعمورة، جميع هذه الأسماء ما هي إلا كلمات لأسماء وهميّة لا وجود لها على الجغرافيا، وتدميرها على يد الله يعني امحاءها بقصد طمس الحقيقة، فلا يعود لها أثر يثبت وجودها في حال التنقيب عنها.

أما قصة ملكي صادق، ملك مدينة ساليم اليبّوسيّة، وكاهنها في نفس الوقت، التي عرفت فيما بعد بأورشليم، وتقديمه الهدايا لإبرام بعد عودته المظفّرة على كدر لعومر، فهي من رواسب الذاكرة اليهودية يوم كانت في بابل. فملكي صادق لا علاقة له إطلاقاً بيهوه الذي لم يكن يعرف عنه شيئاً،

لأنه كان مجوسيّاً على دين مردوك الإله الذي دُمج لاحقاً بأهورامازدا، والذي دمجه اليهود بدورهم بإلههم، يهوه، تقّرباً واسترضاء للحكّام الفرس.

هذا الكاهن المجوسي كان يمارس طقوس العبادة في مدينة ساليم اليبّوسيّة، الخاضعة للحكم الفارسي. فبالاضافة إلى أنّه خادم لرعية مردوك أي الإله جوبيتر، إله الشمس، أو أنه عبد له، فكلمة صادق مأخوذة عن البابلية Zadek وتعني الشمس أو جوبيتر، فهو عبد الشمس، أو عبد جوبيتر، تماماً كما نقول في العربية عبد الله، عبد الملك، عبد ربه، عبد الأمير... فهو الحاكم، والملك في الوقت نفسه، تماشياً مع التشريع القديم، فإن الكاهن هو الملك.. وهذا الأمر كان معمولاً به، أيضاً، في مصر وعُمِلَ به في إسرائيل فيما بعد. أما تقديمه الخمر وكسره الخبز لإبراهيم فهو طقس وثني بابلي، أخذت به المسيحية فيما بعد، كما أخذت بطقس العماد المأخوذ بدوره عن الطقوس الهندية التي كانت تُمارس منذ آلاف السنين على ضفاف أنهر الهند، ولا تزال حتى اليوم.

إنّ تقدير المؤرخين التوراتيين العاطفي لتاريخ هجرة الآباء دفعهم للإعتقاد بمصداقية الأحداث غير المثبتة، وذلك لدعم أفكارهم المسبقة، وبناء عليه فقد تبنّوا ما جاء في رواية

ليتين Letten التي تدور حول آخر أيام مدينة بومباي التي دُفنت سنة ٧٩ للميلاد تحت رماد بركان فيزوف Vesuve. كما أنهم أخذوا بصحة ما قاله الكاتب الروماني بليني الصغير (٦٢-١١٣ بعد الميلاد) في كتاب "الرسائل" حول عادات وطقوس الأزمنة القديمة، وذلك دعماً لفرض الواقع على بسطاء المؤمنين. فالتوراتيون يريدون فرض أبطال وهميين على الحقيقة التاريخية معتمدين على بعض الشواهد النظرية أو خلقها، والمثل العامي يقول " إذا كنت تريد ان تكذب، فأبعد شاهدك أو أُمِتْهُ".

جاءت مكتشفات الألف وخمسماية لوحة في أوغاريت لتثبت وجود مملكة كنعانية عظمى في سوريا وفلسطين، في الألفية الثانية والنصف قبل الميلاد(٢٤٠٠ ق.م.) عاصمتها ألبا Elba، تبعد حوالي خمسين كيلومتراً عن مدينة حلب، وكان يسكنها حوالي ٢٥٠ ألف نسمة. كما ذكرت هذه اللوحات مدناً كنعانية قديمة مثل هازور Hazor ولخيش Lachish ومجدو Majedo وعكا Akko وساليم Urusalima كذلك ذكرت مدينة دمشق. وهذا ما يثبت أقدمية المدن الكنعانية التي أغفل المؤرخون التوراتيون ذكرها عن قصد لأن ذلك يناقض أقدمية اليهود في هذه البلاد. هذا، بالاضافة إلى حدث إكتشاف قنطرة

تحت أحد الجوامع القديمة، في دمشق، يعود تاريخها للألف الثالث قبل الميلاد. أما مكتشفات نوزي Nuzi في تلّي الحريري وماري على الفرات، فتثبت وجود قصور ملكية أشورية تغطّي مساحة ٢٥ ألف متر مربع، يعود تاريخها لمنتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وتشمل وجود معابد لداجون وعشتار حيث كانت تُقَدّم لهما الأضاحي البشرية الحيّة والتي أراد إبراهيم التشبه بمقدميها محاولاً التضحية بابنه اسحق إرضاء لإلهه، ولعله داجون أو عشتار أو ملكارت. كما أنّ هذه المكتشفات قد ذكرت أسماء تتطابق مع تلك الأسماء التي ذكرها التوراتيون فيما بعد مثل Ebrum المطابق لكلمة إبرام، وإسم Abramu المطابق لإبراهيم، واسم Isma-ilu المطابق لإسماعيل وإسم Da-u-Dum المطابق لإسم داود، واسم Sa-u-lum المطابق لإسم شاول.

إنّ مكتشفات هذه المدينة تدحض بشكل دامغ تاريخية هجرة إبراهيم التي قالوا أنها تمّت في الألف الثاني قبل الميلاد. وورود بعض الأسماء التوراتية وتطابقها مع أسماء المواقع الجغرافية لا يثبت أبداً أسبقيتها في الزمن. فأقدمية الإسم يتوافق مع أقدمية الحدث. وما الأسماء والأحداث الواردة في التوراة

إلا مُحدثة ومأخوذة عما قبلها من الأسماء والأحداث، وهذا دحض أكيد لمصداقية التوراة.

إن عادات الشعوب بتوارث الأسماء وبمجريات العادات الحياتية تنتقل من جيل إلى جيل، وعلى هذا فإن إدعاء التوراتيين لأسبقية الوجود سقط بسبب مكتشفات مدينة ألبا Elba ومدينة ماري. Mari وإثباتاً لهذا الدحض فإن دفع سارة لخادمتها هاجر لمضاجعة زوجها إبراهيم بغية حفظ نسل له، هو عادة كنعانية قديمة، إذ إن عذارى الهياكل الكنعانية كنّ يمارسن البغاء المقدس بغية إنجاب خادمات للهيكل. كما إنّ قانون الزواج المذكور في إحدى لوحات نوزي يمنع تعدد الزوجات إلا في حال عقم الزوجة، إذ عندها، فقط، يُسمح للزوج بمضاجعة الخادمة بغية الإنجاب.. وفي حال أنجبت الخادمة أولاً، ثم عادت الزوجة الأصلية للإنجاب، فإن الإرث والبركة يكونان لإبن الزوجة الأصلية دون أولاد الخليلة، لهذا عمد إبراهيم لتطبيق شريعة ذلك الزمان، فطرد خادمته، هاجر مع ولدها إسماعيل البالغ عمره أربعة عشر عاماً، كي لاينال بركة والده لأنه البكر ولكي لا يتقاسم الإرث مع أخيه إسحق، وكي لا تقاسم الخادمة، هاجر، سيدتها سارة، في الفراش بعد إنجاب هذه الأخيرة. وما دعوة بولس في رسالته إلى أهل

غلاطية إلاّ للتذكير بهذه العادة بهدف تسييد النسل اليهودي المؤصل على بقية شعوب المنطقة: "**ألستم تسمعون الناموس، فإنّــه مكتوب أنّه كان لإبراهيم إبنان، واحد من الجارية وأخرمن الحرّة. لكن الذي وُلد من الجارية وُلِدَ حسب الجسد، أمّا الذي من الحرّة فبالوعد. وكل ذلك رمزٌ لأن هاتين هما العهدان، أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر، لأن هاجر في العربيّة هي جبل سينا... وأما أورشليم العليا التي هي أُمّنا فهي حرّة... ولكن ماذا يقول الكتاب. أُطْرد الجارية وابنها لأنه لا يرث إبن الجارية مع ابن الحرّة**" (غلاطية ٤: ٢١-٣١).

ولا تزال هذه العادة تتوالى في بعض الدول العربية، خاصّة في الأسر الحاكمة أو بعض أُسر الأشراف العريقة الأنساب.

على الرغم من عدم الثبوتية التاريخية والموضوعية لأسماء وأحداث التوراة فإن التوراتيين يهوداً كانوا أم مسيحيين أصوليين، فهم يؤمنون بها كحقيقة موعودة من إله يؤمنون به لأنه وعدهم بتحقيق ما جاء فيها من وعود، وإلا فإنّهم يؤمنون بما جاء فيها دون إيمانهم بذاك الإله إن لم يحقق لهم الوعد قصداً او عجزاً.

فالتوراة، وهي بنت الوعد، هي أساس الإيمان والانتماء عندهم.

فالوعد ينفّذ حتى ولو مات الواعد؛ وامتلاك الأرض وإقامة الدولة العبرية بلا إله هو أفضل من عبادة إله بلا أرض ولا دولة.

على الرغم من التباين الأخلاقي الشديد بين الدين المسيحي والدين اليهودي، فإن اليهود استطاعوا ان يُقنعوا المسيحيين بقبول معظم عاداتهم وأساطيرهم وكتاباتهم ونجحوا في حمل قادة المسيحيّة على الايمان بقدسيّة التوراة، حتى إنّ الرحّالة والعالم البريطاني توماس هاكسلي (١٨٢٥-١٨٩٥) قال قبل وفاته: "**إن أعظم إنجاز لليهود هو انهم استطاعوا طوال اكثر من ثمانية عشر قرناً أن يفرضوا على المسيحيين جميع ما يؤمنون به من خرافات وأوهام وأساطير**".

ومن المفيد أن نذكر ما قاله في هذا الصدد ديفيد بن غوريون: "**إن إيمان المسيحيين بالكتاب المقدّس شكّل أقوى وثيقة لملكية اليهود لفلسطين بأرومة تعود الى ٣٥٠٠ سنة مضت**

شركٌ أم إشراكٌ

*

ان الحقيقة وإن تغيّرت مواقعها وأمكنتها وألسنتها وصمته اوأشكال ظهوراتها فهي نفسها باقية أبداً

*

يعتبر كاتب سفر الخروج (المفترض أنّه عزرا) وجود بني إسرائيل في مصر، حظوةً إلهيةً، وأما متى سيخلصهم من أرض العبودية، كما يقولون، فذلك مرهون باللحظة المناسبة التي تتوافق مع مشيئة ذلك الاله، فلدى موت ملك مصر الذي لم يذكر سفر الخروج إسمه، بل يذكر وعد يهوه لإبراهيم وإسحق ويعقوب فيقرر انقاذهم. **"وحدث في تلك الأيام الكثيرة، أن ملك مصر مات وتنهّد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا إلى الله من أجل العبودية فسمع الله أنينهم فتذكّر ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب" (خروج٢: ٢٣-٢٤).**

عجباً ليهوه فهو ينسى! فلولا صراخ وأنين شعب إسرائيل لما تذكّر وعده لآبائهم ولما أسرع لخلاصهم!.

لماذا لم يصرخ فقراء مصر لإلههم يوم صادر يوسف غلالهم وأملاكهم، واستغل جوعهم فباعوها له؟ أليس لهم إله يا ترى؟ أو أن إلههم لا يسمع ولا يتدخل؟.

من استعبد من، يوم كان يوسف سيد مصر المطلق؟

ثم هل كان اليهود مظلومين، مضطهدين ومستعبدين وخائفين في مصر؟

فإن كان الجواب إيجابا"، فكيف يتذكّرون أثناء تيههم في صحراء سيناء قدور اللحم والسمك؟ "**قد تذكّرنا السمك الّذي كنّا نأكله في مصر مجّاناً" والقثاء والبطيخ والكرّات والبصل والثوم**"(عدد ١١:٥).

"**ليتنا متنا في أرض مصر إذ كنّا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً ونشبع.**(خروج١٦: ٣).

أما كيفية قدوم بني إسرائيل إلى مصر بالتفصيل فأمرٌ مهمّ بالنسبة للكاتب لأن ذلك القدوم تمّ أيضاً بمشيئة يهوه؛ فبيع أولاد يعقوب أخاهم يوسف لتجّار اسماعيليين أخذوه إلى مصر وباعوه لرئيس شرطة فرعون فوتيفار، ثم القحط الذي أصاب المنطقة التي تسكنها قبيلة يعقوب فأُجبرَ هذا الأخير على إرسال أولاده إلى مصر طلباً لشراء القمح المخزون في أهراآتها عند يوسف، كل ذلك تمّ بتدبير من ذلك الإله كي يظهر ارتباطه

الحميم بشعبه المختار. فلدى تعرّف أولاد يعقوب إلى أخيهم الذي باعوه، حاولوا الإعتذار منه نادمين على فعلتهم، فقال لهم يوسف: **"ليس أنتم من أرسلني إلى هنا بل الله وقد جعلني أبا لفرعون وسيّداً لكلّ بيته ومتسلّطاً على كلّ أرض مصر"**(تكوين ٤٥:٨) ثمّ يتابع يوسف فيقول: **"أنتم قصدتم بي شرّاً أما الله فقصد به خيراً ليحيي شعباً كثيراً"**.(تكوين٥٠:٢٠).

من المؤسف أو من البساطة أن كاتب السفرين لم يدرِ أن الإسماعيليين هم أبناء عمومة لأبناء يعقوب، فذكرهم وكأنهم تجّار حرفة قديمة للرقيق، دون أن يأخذ للزمن حساباً، فعمر أولاد اسماعيل مقارب لعمر أولاد عمهم يعقوب. أولم يخبرهم والدهم يعقوب قصة طرد جدّه إبراهيم لجاريته هاجر مع إبنها إسماعيل ليتيها في الصحراء؟ بماذا يتسلى البدو في مجالسهم عندما يجتمعون، أوليس بمثل هذه الأخبار؟ بالإضافة إلى ذلك فإن البدو يهتمّون كثيراً بعلم الأنساب ويتفاخرون بروابط القربى، فكيف ينسى يعقوب أولاد عمومته ولم يحدّث أولاده عنهم؟

من الغرابة، أيضاً أن يوسف الذي يقول أنه أصبح أباً للفرعون وسيّداً متسلّطاً الى كلّ بيته، لا يعرفه الفرعون الجديد ولم يسمع به من قبل، حتى أن سفر الخروج لا يذكر إسمه: **"ثمّ**

قام ملك جديد على مصر ولم يكن يعرف يوسف" (خروج١:٨).

فهل أتى هذا الملك من خارج مصر لذلك لا يعرف قصة يوسف ومقدرته في تفسير الأحلام، وكيف أصبح متسلّطاً على مصر؟

هل من المنطق أن يأتي ملك جديد على مصر ولا يعرف أخبار يوسف هذا، وقصّته مع زوجة خصي الملك، فوتيفار؟

ألم يعلم بقصة سجن يوسف، وكيف خرج من السجن ليتولّى محكومية مصر بعد تفسيره حلم الفرعون؟

ألم يسمع بقصة السنوات الخيّرة وتلك السبع العجاف؟

ألم يسمع بحكمة يوسف ومصادرة غلال سنوات الخير وتخزينها لوقت الحاجة إليها في السنين العجاف اللاحقة؟

كل الأجوبة على هذه التساؤلات تثبت أن قصة وجود بني إسرائيل في مصر واستعبادهم، وخروجهم منها ليس لها أيّ مستند تاريخي أو أيّة مرجعيّة تاريخية حقائقية غير التي أوردها كاتب التوراة بهدف إظهار مشيئة الله المزعوم في تجربته لبني إسرائيل وعزمه في النهاية على تخليصهم من العبودية المزعومة أيضاً.

من ناحية أخرى إن معرفة يوسف تفسير الأحلام هي من تأليف عزرا كاتب التوراة الذي عاش في بابل أثناء سبيه، فاعتنق المجوسّية وتعلّم أسرار التنجيم وعلوم الفلك واستطلاع المستقبل وتفسير الأحلام. وقصة يوسف والوجود اليهودي في مصر، هي انعكاس للسبي اليهودي إلى بابل، وإسقاط أفكار ماضية على أحلام مستقبل واهم ليس إلا projection des idees.

ليس للبدو الرحّل من الحضارة ما يجعلهم، أثناء محنتهم الموهومة التي دامت أربعين سنة تيها" في الصحراء المصرية، يدوّنون أحداثهم بالدقة الرومانسية التي وصفها سفر الخروج. وكل ما يفعله البدو الرحّل "هو التسلّي" أثناء السهر حول نار خيمهم، بسرد قصصهم والتندّر بمجريات أمور بعضهم البعض. والبدو، كما هو معروف، لا يحبّون الاستقرار وبالتالي، لا حاجة لهم لتدوين مذكّراتهم، وتكفيهم ذاكرتهم الفردية والجماعية لترداد ذكريات الماضي، حتى إن من تحضّر منهم لا يفعل غير ذلك، إلاّ لدى الإنتقال من الحالة البدوية المشاعية، إلى حالة التنظيم والدولة التي لم يعرفها بنو إسرائيل في حياتهم إلاّ في مرحلة متأخرة جداً، أي في حوالي

مئتي سنة قبل الميلاد على أكثر تقدير، ذلك حسبما تذكره التوراة نفسها.

ولا بد من التذكير بأن هؤلاء البدو لم يختلطوا بالمدنيّة المصريّة، بل كانوا يعيشون في الفيافي البعيدة عن المدن. فعندما تواجه أولاد يعقوب مع الفرعون سألهم قائلاً لهم: "**ما صناعتكم. فقالوا للفرعون عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعاً**". (تكوين٤٧:٣).

ولأن المصريين يعتبرون الرعاة رجساً، فقد أفردهم يوسف في أرض جاسان، بعيداً عن المجتمعات المصرية لأن "**كل راعي غنم رجس للمصرين**" (تكوين٤٦:٣٤).

من الغرابة أن موسى المزعوم، يذكر أثناء تيهه وشعبه في صحراء مصر أسماء أماكن كنعانية لم يعرفها ولم تطأها قدماه سابقا" مثل كريات أربع أي حبرون hebroun كما ذكر أسماء شعوب تلك المناطق كالفلسطينيين والكلدان الذين لم يكن له معهم أي اتصال مسبق ولم يكن يعرفهم كما جاء في سفر التثنية "**فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك**"(تثنية٣٢:٥٢). كما ان موسى يذكر إستعمال النقود لأداء العشر، في حين أن النقود التي كانت معدنية، أولاً، لم تكن معروفة في زمن موسى المفترض، إلا في مملكة ليديا في

القرن السابع قبل الميلاد، أي بعد سبعماية سنة من موسى، كما ذُكر في سفر التكوين أن لإسرائيل ملكاً في زمن لاحق للوجود المفترض لموسى بخمسماية سنة "**هؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما ملكَ ملكٌ لبني إسرائيل**" (تكوين٣٦:٣١).

كل هذه الترهات والأراجيف، تؤكد أن ما يدّعيه علماء التوراة بأنّ الكُتب الخمسة الأولى التي تشكّل أساس التوراة هي من تأليف موسى هي أوهام وإدّعاء، خاصة وأن الكاتب قد ذكر موته ودفنه.

"**وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل بند.فمات هناك.ودفنه (الرب) مقابل بيت فغور. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم**" (تثنية٣٤:٥-٦).

إن كل ما أوردته التوراة، في أسفارها الخمسة الأولى، من الأحداث والقصص والروايات والأسماء والمدوّنات يفتقد إلى المصداقية التاريخية، إذ لم تأت على ذكر أسماء الفراعنة والمسؤولين وتحديد أزمنة الاحداث وتسلسلها تحديداً دقيقاً إضافة إلى أن الأرشيف الفرعوني لم يأت على ذكر للأحداث الواردة في هذه الأسفار على الأرض المصرية! وأوراق البردى المكتشفة تبيّن أحداثاً جرت في القرن الثالث عشر قبل

الميلاد ومنها مطاردة عَبْدَيْنِ فرّا إلى خارج الحدود المصرية. في حين أنها لم تذكر هرب حوالي المليون عبد إسرائيلي، دفعة واحدة، وعن سرقتهم لمصاغ وذهب وفضة المصريين، وثيابهم، حتى. كذلك لم تأت على ذكر غرق الفرعون وجيشه في بحر سوف أثناء المطاردة المزعومة لموسى وشعبه. في هذا السياق يقول أحد المؤرخين جون ألبرتو سوغّين John Alberto soggin في كتابه "مدخل إلى تاريخ اسرائيل واليهودية" " An introduction to the history of Israel and Judah". **"إن المراجع التوراتيّة غنيّة بالفكاهات وبقصص الفولكلور الشعبي، لكنها تفتقد إلى دقّة التحقق التاريخي، إذ لم تأت على ذكر أسماء الفراعنة والمسؤولين الرسميين، مع عدم دقة السياق الزمني للأحداث المذكورة، إضافة إلى عدم وجود مرجعية تاريخية في السجلات المصرية لكل هذه الأحداث أو لبعضها".**

مع معرفة المتعمّقين بالدراسات اللاهوتية لكل هذه الحقائق، يهودا ومسيحيين، لكنهم لا يجرؤون، على ادّعاءٍ منهم، بأن ما جاء في التوراة هو الحقيقي وحده، فقط، مهما كانت الإثباتات مغايرة لذلك.

حسبما جاء في سفر التكوين فإن عدد نفوس بيت يعقوب التي قدمت إلى مصر، جمعاً للشمل مع يوسف هو سبعون شخصا "**جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر، الخارجة من صلبه، ما عدا نساء بني يعقوب، جميع النفوس ست وستون نفساً، وإبنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون**". (تكوين٤٦:٢٦-٢٧).

بعد أربعة أجيال توراتية، فقط، أي بعد أربعماية وثلاثين سنة، لدى الارتحال، هربا" من مصر، يصبح هذا العدد ستماية ألف ماشٍ عدا الأولاد، أي حوالي المليون نفس تقريباً "**فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ستماية ألف ماش من الرجال، عدا الأولاد، وصعد معهم لفيف كثيرٌ أيضاً مع غنم وبقر ومواشٍ وافرةٍ جداً**". (خروج١٢: ٣٧-٣٨).

"**وأما إقامة بني اسرائيل في مصر فكانت اربعماية وثلاثين سنة**"(خروج١٢:٤٠). ويذكر سفر الخروج أن يوسف وكل إخوته ماتوا في ذلك الجيل "**ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل**"(خروج١:٦) "**وسكن يوسف في مصر هو وبيت أبيه وعاش مئة وعشر سنين**" (تكوين٥٠:٢٢).

كثرة نسل يعقوب المُرتَحِل من مصر هو عدد وهمي، إلا إذا صح أن تكون لهؤلاء الرجال، الرعاة، القدرة الماديّة على التزوّج بأكثر من عشر نساء يكون لكل منهنّ حوالي الأربعين ولداً، وإلا فكيف تمّ هذا التكاثر العشوائي خلال وجودهم في مصر، في زمن تختلف فيه التوراة مع المؤرخين اليهود أنفسهم، إذ جعلته التوراة أربعماية وثلاثين سنة، مقسمة إلى أربعة أجيال؟ "**وأما انت فتمضي إلى آبائك وتدفن بشيبة صالحة. وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا**" (تكوين١٥:١٥-١٦).أما المؤرخ اليهودي يوسيفوس فيجعله مئتين وخَمْسَ عَشَرة سنة، ويقول أن خروج اليهود من مصر قد تمّ في القرن الرابع عشر قبل الميلاد أثناء طرد الهكسوس من مصر.

ما يثبت أن التوراة قد كُتبت في المرحلة الفارسية، قرار الملك قورش بعودة المسبيين إلى ديارهم سنة ٥٣٦ قبل الميلاد بقيادة نحميا وغيره الذين أُرسلوا من قبل الحكّام الفرس إلى هذه المنطقة لسببين أحدهما ديني وهو التبشير بالزرادشتية وثانيهما عسكري بغية إقامة حزام بشري مناوئ للحكم المصري. إن كتابة التوراة، لكل أساطيرها وأحداثها المستوحاة من مخلّفات الشعوب القديمة، خاصة الشعب البابلي، يهدف إلى خلق مكتسب حضاري مماثل لما عند هذه الشعوب. وما الإدّعاء ببناء المدن والهيكل المزعوم إلا صورة لما جاء في

سفر العدد. "**فبنى بنو جاد ديبون وعطاروت وعروعير...مدناً محصنةً مع صير للغنم**" (عدد٣٢: ٣٤-٣٦).

بعض الخيم، أصبحت عند كتبة التوراة تجمعات مدن، كما أن صير الغنم حول الخيم، التي اعتاد البدو إحاطتها بأسوار تُرفع بشكل بدائي من حجارة عمشاء، منعاً لهروب الغنم أثناء الليل ومنعاً لاقتحام الذئاب لها، أصبحت مدناً محصّنة، وهيكلاً مشاداً. وهذا ما دفع بأحد نقّاد التوراة الأكثر حياديّة ومصداقيّة: البروفسور كايلي ماك كارتر Kyle Mac Carter للقول:"**إن الكثير من المعلومات الواردة في الكثير من الأسفار الخمسة الأولى تبدو غير صحيحة تاريخياً**".

على الرغم من دحض التاريخ لوقائع ما تتحدّث عنه التوراة، فإن التوراتيين يجهدون لإثبات زعم وجود بني إسرائيل في مصر، وخروجهم منها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، معتبرين أن هؤلاء اليهود، ما هم، إلا قبائل الهكسوس الرعاة الذين وفدوا من آسيا وحكموا مصر بين القرن السابع عشر قبل الميلاد و القرن الخامس عشر قبل الميلاد، عندما استطاع رعمسيس الثاني طردهم منها، متجاهلين أن الفرس وقبلهم البابليين والأشوريين كانوا يدوّنون أحداث تاريخهم ومجريات أمور دولهم في أرشيف مكتوب على الفخار بالحرف المسماري. كذلك كان يفعل المصريون أعداء هؤلاء، ولم تأتِ أية لوحة مصرية على ما ذكرته التوراة من الوقائع والأحداث.

ويقول البروفسور كايلي ماك كارتر "إنّ الفرضية القائلة بأن يوسف عاش في فترة حكم الهكسوس، وبأن هؤلاء هم اليهود، هذا لا يعني أن ذلك حقيقة".

"It has often been supposed...that Joseph lived during the so-called Hyksos period" such statements are devoid of any useful meaning except to dispose the reader to believe reliable historians have confirmed the bible. "believing" and "supposing" means nothing"

إن المتعمّق في دراسة التاريخ يكتشف أن قصّة موسى، بطل التوراة الاسطوري، هي نحل كامل ومطابق لقصة الملك الأكادي سرجون الثاني الذي حكم ما كان يعرف بالمملكة الأكادية والسومرية والبابلية ما بين ٧٢١-٧٠٥ قبل الميلاد، والذي قام بعدة حملات على مصر وسوريا وفلسطين ودمّر مملكة يهوذا. وتقول القصة أن والدته لدى ولادته وضعته في سفط مطلّي بالقار وألقته في نهر الفرات خشية عليه من عمه شلما نصر الذي اغتال والده وتسلم الحكم بعده. فوجده أحد الرعاة، فأخذه وأهتم بتربيته إلى أن أصبح يافعاً فقام بانقلاب على عمه شلما نصر واستلم الحكم بدلاً عنه.

صوّر مؤرّخو اليهود ما ورد في اللوحة التي أقامها الفرعون ميرنفت (١٢١٢-١٢٠٠قبل الميلاد) تخليداً للحملة التي شنّها على الكنعانيين والتي جاء فيها أنه قد محاهم قائلاً:

"إن بذرتهم لن تعود إلى الحياة". والحقيقة أن هذه الحملة لم تكن إلاّ لملاحقة العبرانيين لدى اجتيازهم لبحر سوف، متجاهلين أن هذه الحملة وقعت في زمن رعمسيس الثاني، حتى قبل ولادة ميرنفت.

كل ما تذكره المراسلات المصرية، المكتشفة في تل العمارنة، التي كانت تجري بين حكام المقاطعات التابعة للمصريين عن وجود شَغَبٍ وقلاقل يسبّبها الرّعاة apiru في بعض المناطق الكنعانية الجبلية. وقد ورد في تلك اللوحات، ولوحات أوغاريت، أن المناطق الكنعانية الجبلية كانت وعرة المسالك وكثيفة الغابات، يعيش سكانها في مدنٍ محصّنةٍ كلّ واحدة تشكّل حاكميّة مستقلّة بذاتها، يحكمها ملك. ومن بين هذه المدن مدينة ساليم اليبّوسيّة الكنعانيّة التي عُرفت فيما بعد بأُورشليم. أما الساحل الكنعاني الفينيقي، فكان، حسبما جاء في هذه اللوحات، مأهولاً بكثافة سكّانيّة وكان مزدهراً إلى زمن حصول الجفاف والقحط المعروف تاريخياً بالقحط المّسيني الذي انتهز كتاب التوراة حصوله لدعم نظرية تنبؤ يوسف للفرعون بما قد يحصل وبالتالي نصيحته للفرعون بأخذ الحيطة والأستعداد لإنقاذ مصر. ومن المعلوم تاريخياً أنّ الجفاف المّسيني حدث بعد سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد، أي بعد خروج اليهود من مصر. والحدث المذكور في قصة يوسف هو حفر وتنـــزيل لأحداث الماضي الأقرب على الماضي الأبعد، بغية

فرض غائيّة الهدف. وهذا الأمر تأكيد على أن كاتب التوراة المفترض هو عزراً وليس موسى بالتأكيد، قد كتبها بعد العودة من السبي متذكّراً ما حصل في مصر أثناء الجفاف، فنسج قصة يوسف من خياله مضيفاً عليها القصص الأسطوري.

كما أن التنبؤات التي ذكرها أشعيا وحزقيال، ليست إلاّ أحداثاً قديمةً عاشها هؤلاء المتنبّئون أثناء سبيهم، فألبسوها حلّة الزمن الحاضر لتصبح تنبّؤات مستقبليّة فيما بعد. من ناحية أخرى، يذكر سفر التكوين أن ريحاً شرقية ضربت مصر،وهذا خطأ فادح لأن الريح الجنوبية هي التي تضرب مصر، وأما الريح الشرقيّة الآتية من الصحراء العربيّة فتسفح فلسطين والأراضي الكنعانية المجاورة. إضافة إلى الترهات العديدة الواردة في سفر التكوين، لإظهار عظمة الشعب اليهودي، خاصة، ما ذُكر في حلقات إبراز القوى السحرية بين السحرة المصريين وبين هارون ساحر العبريين، الذي انتصر عليهم بمؤازرة إلهه يهوه.

إنّ أهم ما يفعله المجرم بعد ارتكابه الجريمة هو محو آثار ودلائل جريمته لذلك عمد المكابيون ما بين سنة ١٦٥ قبل الميلاد وسنة ٣٥ بعده، ومن تبعهم من المتعصبين اليهود إلى تدمير كل الآثار والنّقوش القديمة التي تشير إلى التاريخ الحقيقي للمنطقة وذلك قصد إظهار ما جاء في التوراة على أنها وحدها التاريخ الحقيقي الواجب إعتماده.

ما بين الحقيقي والمزيّف

*

"النّقود الأصليّة هي سبب وجود النقود المزيّفة".

*

بعد عودة اليهود من السبي، بدأت الإنقسامات تظهر في صفوف العائدين، فمنهم من بقي على ولائه للفرس، ومنهم من رأى المعايشة مع الحكم اليوناني، وبعضٌ آخر بدت له الفرصة سانحة لإظهار الشخصية اليهودية المستقلة. فآخر رؤساء الكهنة التقليديين الذين بقوا على ولائهم للفرس، رافضاً الإندماج بالحضارة الهللينية المترنّحة، كان الحاخام سيمون الملقّب بالعادلsimon the just ، الذي رفض، مع من يدور في فلكه من الأصوليين، التعامل مع البطالسة، مفضّلاً عليهم أعداءهم السلوقيين بسبب جذورهم البابلية. وفي مرحلة لاحقة إعتبر أن أي تحالف مع العالم الوثني، هو ارتداد على تعاليم يهوه، لكن خلفه الحاخام أونيا الثالث onias III قَبِلَ المعايشة مع الحضارة اليونانية. وتمّ تحويل الكهنوت إلى الهللينية. فثارعليه الأصوليون وأقالوه وأبعدوه.

من هنا ظهر الخلاف واضحاً بين الفريسيين الذين بقوا على ولائهم للفرس، فنُسِبوا اليهم وبين الصدوقيين، نسبة

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

للحاخام صدوقيا، الذين تآلفوا مع الحضارة اليونانية بزعمهم أن الحكام اليونانيين تركوا لهم حرّية التشريع الديني شرط الخضوع للقوانين المدنية والإدارية اليونانية.

في مرحلة لاحقة إنقسم الأصوليون فيما بينهم حول قضيّة الشريعة؛ فالبعض اعتبر شريعة عزرا جامدة لا تتوافق مع المتغيّرات السياسية والزمنية، والبعض الآخر رأى فيها مرجعيّة وحيدة. هذا الأمر دفع بحكمائهم لوضع شرائع جديدة شفويّة، تُعَلّم مباشرة من الفم إلى الأذن، ويمنع تدوينها أو التداول فيها بين العامّة. أمّا الأسينيون، المنشقّون عنهم، فقد عمدوا إلى تشريعات وطرائق خاصة بهم، واهتموا، كالبابليين بعلوم الفلك والطب وسائر العلوم الروحانية، إضافة إلى إيمانهم باقتراب يوم الحساب، وانتظار قدوم المخلّص المنتظر. أما يهود السامرة ومصر فكانوا متساهلين بتطبيق الشريعة بما يختص بالمأكولات، وحسن معاملة الغرباء والشفقة عليهم، بعكس يهود القدس المتشدّدين في تطبيق أحكام سفر التثنية وغيرها من قوانين التوراة. وفي قصة السامريّ الصالح التي ذكرها يسوع خير مثال على ذلك.

أما الفئة الأصولية المتزمتة المعروفة باسم الهسمونيين hasmoneans فقد وجدت الفرصة سانحة لإعلان الهوية

اليهودية المستقلة، واستطاعت بفضل بعض قياديها المتحمّسين، وهم خمسة أشقّاء رفعوا شعار القوّة المتمثّلة بالمطرقة فعُرِفوا بالمكابيين، أي حملة المطرقة، وكان آخرهم سيمون المكابي. استطاع هؤلاء المكابيون قيادة حركة المقاومة ضد الحكم اليوناني إبتداءً من سنة ١٩٠ قبل الميلاد، وذلك بفضل مساعدة الرومان لهم وقتئذٍ. وعلى الرغم من هزيمتهم في ذلك العام فقد عادوا للثورة ضد السلوقيين في العام ١٦٧ قبل الميلاد، واستطاعوا بسبب ضعف الحكم اليوناني وانقساماته، الحصول على الاستقلال المؤقت لمنطقتي الجليل ويهودا في العام ١٦٥ قبل الميلاد. في فترة الإستقلال هذه، استطاع المكابيون كتابة التاريخ اليهودي المبني على الخرافة والوهم والخداع والذي عرف فيما بعد بكلمة الله وعمدوا إلى تدمير جميع الآثار والنقوش التي تخالف ما ورد في التوراة.

لم يهنأ المكابيون طويلاً باستقلالهم إذ بعد انتصار انطوخيوس الرابع على المصريين الذين ثاروا ضد الحكم اليوناني، هاجم اليهودية سنة ١٤٣ قبل الميلاد ودخل القدس بتجبّرٍ وأخذ مذبح الذهب ومنارة النور، المينورا، والأكاليل والحلية الذهبية التي كانت على مذبح الهيكل، وحطّم محتوياته وأكثر من القتل، فكانت مناحة عظيمة في اسرائيل، استغلّها

متّى، فتحدّث عنها في انجيله كحادثة لاحقة جرت لدى ولادة يسوع وخداع الكهنة المجوس لهيرودس الكبير "**حينئذٍ، لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا منه، غضب جداً. فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وتخومها من ابن السنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس. حينئذ تم ما قيل بأرميا النبي القائل: صوت سمع في الرامة، نوح وبكاء وعويل كثير. راحيل تبكي اولادها ولا تريد أن تتعزّى لأنهم ليسوا بموجودين**"(متى٢: ١٦-١٨).

النبي أرميا الذي يستشهد به متى في انجيله وقد نقل عنه حرفياً ما ذكره في سفره، الأصحاح الحادي والثلاثين. **هكذا قال الرب صوت سمع في الرامة، نوح، بكاء مرّ، راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزّى لأنهم ليسوا بموجودين**"(**ارميا٣١: ١٥**).

نبوءة أرميا، هذه لا تتكلم أبداً عن مذبحة بل عن نزوح أهل إسرائيل الذي حصل على يد نبوزردان نصر قائد نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ قبل الميلاد، الذي نقل سكان إسرائيل إلى بابل بعد هدمه لهيكل أورشليم.

أما المذبحة المنسوبة لهيرودس فهي غير صحيحة على الإطلاق، لأن يسوع لم يولد على زمن هيرودس الكبير، فمن

المعروف ان هيرودس هذا، هو إبن انتيبباطر الأدومي، وهو من قبيلة أدومية نبطية اعتنقت اليهودية سنة ٦٣٤ من بناء روما اي سنة ١٢٥ ق.م. ولد سنة ٦٧٧ من بناء روما وعينّه طيباريوس قيصر رئيس ربع على الجليل سنة ٧١٤ من روما، وبالتالي فإن غضب هيرودس من المجوس، وإصدار أمره بقتل الأطفال من عمر سنتين وما دون، بغية أن يقتل الطفل يسوع بين هؤلأ ليس له اي دليل تاريخي. وما كتبه متّى في إنجيله عن ولادة يسوع هو مغاير للحقيقة بالكامل. فدنيس الصغير Denis le petit المتوفّى سنة ٥٤٠ بعد الميلاد وهو الذي أرّخ للمسيحية في القرن الرابع الميلادي، يجعل مولد يسوع في سنة ٧٥٤ من بناء روما، أي أن يسوع ولد بعد وفاة هيرودس الذي توفي في سنة ٧٥٠ من بناء روما. وهذا خطأ تاريخي معنوي ومادي. فبعد وفاة هيرودس سنة ٧٥٠ لروما، خلفه ابنه ارخيلاوس فحكم تسع سنوات أقاله بعدها أغسطس قيصر لدى استدعائه إلى روما ونفاه إلى فيينّاحيث مات سنة ٧٦٠ من بناء روما. وألغى اغسطس قيصر النظام الملكي في فلسطين وسوريا وعيّن كيرينيوس والياً على سوريا والجليل ويهوذا سنة ٧٥٩ من بناء روما فنفّذ أمر أوغسطس قيصر بأن يُكتتب كل المسكونة، بهدف مصادرة أملاك أرخيلاوس، وفي زمن ولاية

كيرينيوس ولد يسوع حسبما جاء في إنجيل لوقا: "**وفي تلك الأيام صدر أمرٌ من أغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة. وهذا الإكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والياً على سوريا. فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد في مدينته. فصعد يوسف أيضاً من الجليل إلى اليهودية، إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى. وبينما هما هناك تمّت أيامها لتلد. فولدت إبنها البكر وقمّطته وأضجعته في المزود إذ لم يكن لهما موضع في المنـــزل**"(لوقا٢: ١-٧).

يتبيّن بما جاء في لوقا، ومن مراجعة التاريخ أن الفرق الحقيقي في عمر يسوع هو تسع سنوات على أقل تقدير في حال حضر يوسف للإكتتاب في السنة الأولى لإصدار أغسطس قيصر أمره باكتتاب كل المسكونة. وعليه فإن هذا الخطأ لا يمكن تصحيحه أبداً بسبب مرور حوالي الألفي سنة... إذ يقتضي التصحيح إضافة تسع سنوات إلى جميع التواريخ التي سبقت الميلاد وبالمقابل إنقاص تسع سنوات من التواريخ التي تلت الميلاد.

أما رواية متّى فتقول: "**ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك. إذا مجوس من المشرق قد**

جاؤوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له. فلما سمع هيرودس إضطرب وجميع أورشليم معه"(متّى٢: ١-٣).

كل همّ متّى الأنجيلي من ذكر نبوءة أرميا إسقاطها على واقعة قديمة لإثبات صدق النبوءات المبشّرة بولادة مخلّصٍ لشعب إسرائيل، مستنداً بذلك على نبوءة ميخا الذي عاش بحوالي سنة ٧٥٠ قبل الميلاد، أي قبل أرميا بحوالي مئة عام **"أما أنت يا بيت لحم أفراته، وأنت صغيرة أن تكونـــي بين ألوف يهوذا. فمنك يخرج لي الذي يكون متسلّطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل"(ميخا ٥: ٢).**

وقد حوّر متّى بعض الشيء في نبوءة ميخا ليجعلها أكثر وضوحاً فيقول: **"وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبّر يرعى شعبي إسرائيل"(متّى ٢:٦).**

يقول العالم اللاهوتي الدكتور شوايتزر A. Schweitzer الذي نال جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٢. **"ان المدافعين عن تاريخ يسوع يجب أن يأخذوا بعين الإعتبار موقفهم لأنهم يتحمّلون مخاطرة الدفاع عن العناوين التاريخيّة لشخصيّة من المحتمل أن تكون مغايرةً لما يتخيّلون".**

"Les défenseurs de l'historicité de jésus doivent considérer sérieusement l'importance de leur position... Ils courent le risque de soutenir les titres d'une personnalité qui peut se trouver entièrement différente de celle qu'ils imaginaient lors qu'ils entreprissent sa défense ».

Dr.A.Schweitzer... prix noble ١٩٥٢ (recherches sur l'historicité de jésus).

بعد انهزام اليونانيين أمام الرومان، حاول المكابيون إشعال ثورتهم من جديد للحصول على الاستقلال الذي لم ينعموا به طويلاً، فهاجم القائد الروماني تيطس اليهودية وأنهى التمرّد سنة ٧٠ ميلادية ودمّر الهيكل في أورشليم.

بحلول القرن الثاني للميلاد استطاع الحاخامات لملمة بعض رواسب حرب القائد المكابي بار كوشيبا Barkosiba والتخلّص من المتعصّبين المكابيين وذلك بغية عودة الإندماج بالمجتمع والتهيؤ لصراع جديد مع الدين المسيحي الناشئ وإن كان يستند على بعض تلميحات الكتب اليهودية. بناء على هذه النظرة الجديدة التغييرية في السلوك اليهودي يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس: "إن العامل الأساسي المميز لليهود هو أنهم يعبدون يهوه كإله دون غيره من الآلهة" فالإيمان بيهوه هو في أساس الإنتماء لليهودية ويذكر أن بعض جنود كليوباطرا

وضباطها كانوا يهوداً على الرغم من كونهم مصريي الجنسية. كما أن المؤرخ اليهودي فيلون الإسكندري Philon يقول بأنه يوناني الفكر يهودي العقيدة. ويقول بولس الرسول، فيلسوف المسيحانية: "**لأن اليهودي في الظاهر ليس يهودياً، ولا الختان الظاهر في اللحم ختاناً، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي** (رومية٢٨:٢-٢٩).

وفي مكان آخر يقول بولس: "**فإن كان قد قطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طُعمّت فيها فصرت شريكاً في أصل الزيتونة ودسمها فلا تفتخر على الأغصان، وإن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل بل الأصل إيّاك يحمل**" (رومية١١: ١٧-١٨).

ثم يكشف بعضاً من أوراق مخططه السّريّ فيقول: "**...فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد**"(رومية١٢: ٤).

ويعترف بولس أمام الحاكم بتستّره برداء الدين المسيحي دون إنكار يهوديته فيقول: "**ولكنني أقرّ لك انني حسب الطريق الذي يقولون له شيعة، هكذا أعبد إله آبائي مؤمناً بكل ما هو مكتوب في الناموس والأنبياء...**"(أعمال١٤: ٢١).

بناءً لهذا التوجه الجديد، فإن انتماء اليهود هو للمعتقد التوراتي وللشريعة وليس للأرض. فاليهودي الذي يعيش في جبال السامرة ويؤدي أعشاره في هيكلها، أو اليهودي المصري أو الأسيني أو المكابي أو اليهودي المتمسيح أو المتأسلم، المؤمن بقداسة ما جاء في التوراة، فهو يهودي أينما وُجِدَ. فاللباس لا يغيّر داخل الجسد، وتطعيم الأغصان لا يغيّر في جذور الشجرة، فكل إنسان يؤمن بقداسة التوراة ويعمل بتعاليمها هو يهودي بغضّ النّظر عن جنسيّته أو دينه، أو مكان وجوده.

من المعروف أن للتوراة ثلاث نسخ متداولة: النسخة العبرانية المأخوذة عن البابلية، فقد كتبها عزرا بالعبرانية، والنسخة السامرية المسمّاة التوراة، لا تتضمّن إلا الأسفار الخمسة الأولى على أعتبار أن موسى كتبها ويعمل أهل السامرة بها فقط، أما التوراة البابلية التي كتبها عزرا وغيره من الكتّاب فيعمل بها سائر اليهود، والنسخة الثالثة أي التوراة السبعينيّة وهي الأكثر تداولاً عند المسيحيين أكانت مطبوعة في المطبعة اليسوعية ويعمل بها الكاثوليك، أو المطبوعة في جمعية الكتاب المقدس ويعمل بها البروتستانت.

يذكر الحبر الجليل كيريوس غريغوريوس عطا في كتابه "**المعين الرائق في خلاصة الحقائق**" المطبوع، في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت للمرّة الأولى سنة ١٨٨٢ ثمّ أعيد طبعه سنة ١٨٨٩ للميلاد، الفروقات بين هذه الكتب الثلاثة كما يذكر قصة كتابة التوراة السبعينية وهذا مختصر لما جاء في كتابه المذكور:

"النسخة العبرانية هي أصل الكتاب المقدس، لأن أسفار العهد القديم، كُتبت أكثرها بعد السبي باللغة العبرانية، وبعض الأسفار كتب باللغة اليونانية وترجم منها فيما بعد إلى العبرانية. النسخة السامرية، هي الكتاب المقدس، المسمّى "بندى تفخوس" أي الكتب الخمسة، الذي يحتوي الأسفار الخمسة التي كتبها موسى: التكوين، الخروج، الأخبار، العدد، وتثنية الإشتراع.

وقد كتبت هذة الأسفار أثناء السبي إلى بابل بالحرف الفينيقي أو الكنعاني، ثم بعد العودة من السبي، أعاد عزرا الكاهن كتابتها بالحرف الكلداني، وقد تعلمه أثناء وجوده في السبي، والذي عرف فيما بعد بالحرف العبراني. وقد دعيت بالسامرية، نظراً لإحتفاظ السامريين بها، واعتمادهم عليها فقط، بعد انقسامهم عن مملكة يهوذا".

"أما التوراة السبعينية، فهي الكتاب المقدّس المترجم عن أصله العبراني إلى اللغة اليونانية، وقد تمّ ذلك بمئتين وتسعين سنة قبل المبلاد، حسب الرأي الأعم. وعُرفت بالسبعينية نسبة إلى عدد الذين اشتركوا بترجمتها وإلى عدد الأيام التي أمضوها في ذلك".

ويروي الحبر الجليل قصة ترجمتها فيقول: "...ولما رأى بطليموس الثاني اليوناني، ملك مصر، المعروف بمحبّ أخيه، أن يغني المكتبة التي أنشأهافي الأسكندرية، أمر ديميتريوس، رئيس هذه المكتبة، وهو يهودي، أن يهتمّ بإيجاد نسخة من الشريعة اليهودية منقولة إلى اليونانية عن أصلها العبري. بناء عليه، أرسل ديميتريوس رسالة بإسم الملك وجهها إلى الحاخام الياعازار، رئيس أحبار اليهود، سلّمه إياها ثلاثة من الرسل المحمّلين بالهدايا الثمينة، يطلب منه نسخة عن الشريعة اليهودية. وكان من بين هؤلاء الرسل أريستيدس، رئيس الحرس الملكي، وهو قبرصي، حديث العهد باليهودية، وهو الذي دوّن هذة القصة فيما بعد". "استقبل رئيس الأحبار الرسل بحفاوة واستلم الرسالة والهدايا بفرحٍ وامتنان، ثم اختار اثنين وسبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل المتفقهين بالدين والبارعين في اللغتين العبرانية واليونانية فأرسلهم مع نسخة

موشاة بالذهب للتوراة العبرانية، إلى بطليموس الثاني، الذي سرّ بهم وأفردهم في جزيرة فاروس القريبة من الإسكندرية في إثنين وسبعين مسكناً. فأكمل الأحبار ترجمة التوراة إلى اليونانية في إثنين وسبعين يوماً".

"قوبلت الترجمة مع النسخة العبرية على مسمع من جمهور يهود الإسكندرية فوجدت مطابقة تماماً للنسخة الأصليّة وشهد على ذلك المؤرخ والفيلسوف اليهودي أريسطو بولس، المذكور في رأس العدد العاشر من سفر المكابيين الثاني، والذي عاش إلى ما قبل الميلاد بمئة وخمس وعشرين سنة. كما أكّد، فيما بعد، المؤرخ اليهودي فيلون مطابقة هذه النسخة للنسخة العبرانية. كذلك فعل المؤرخ اليهودي يوسيفوس. كما أنّ القديس أوغسطينوس، وإيريناوس وأكليمنضوس الاسكندري وكيرللس الأورشليمي، وأبيفيناوس وغيرهم أثبتوا صحة الترجمة".

"تختلف نسخ التوراة الثلاثة عن بعضها في عدد السنين التي مرّت من آدم إلى طوفان نوح، وفي سني حياة الآباء الذين عاشوا قبل الطوفان. فالنسخة العبرية تجعل السنين الماضية من خلق العالم، إلينا، أي سنة ١٨٤٥ بعد الميلاد (سنة كتابة الكتاب) ستة آلاف سنة فقط، وأن الطوفان حدث سنة ١٦٥٦

من بدء الخليقة. في حين أن النسخة السبعينية تجعل السنين الماضية من التكوين إلى اليوم ٧٣٥٣ سنة. أما النسخة السامرية فتحدد زمن الطوفان بسنة ٢٨٨٦ من بدء الخليقة".

يذكر الحبر الجليل مؤلف "المعين الرائق في خلاصة الحقائق" أن هذا الإختلاف قد أدى للإعتراف بكتاب التوراة وسفر الرؤيا وضمهما إلى كتاب الأناجيل الأربعة ليصبح الجميع كتاباً مقدساً واحداً في مجمع ترانت Trente الإيطالية الذي عقد ما بين ١٥٤٥ و ١٥٦٣ للميلاد. وقرر في ٨ نيسان ١٥٤٦ إثبات صحة الكتب المقدّسة بعد حذف الكثير منها التي اعتبرت دخيلة، ومزيّفة، ومن بينها كتاب سفر أخنوخ Enoch الذي كتب سنة ٢٠٠ قبل الميلاد، بحجة أن المسيح الذي هو أخنوخ قد أتى. من هنا بدأ الخلاف بين الذين يؤمنون بأن المسيح قد أتى بشكل أخنوخ الذي رفعه الله إليه حيّاً، وبين الذين يؤمنون بيسوع الناصري، المولود من العذراء مريم كمسيح مخلّص.

وبعد المجمع ظهر الخلاف بين الكنيستين اليونانية واللاتينية، فالكنيسة اليونانية تعيّن ميلاد يسوع في السنة ٥٥٠٨ من خلق العالم، أما الكنيسة اللاتينية فتعيّنه في السنة ٥١٩٩ من

خلق العالم، فيكون الفرق بين الكنيستين من آدم إلى المسيح هو ثلاثماية وتسع سنين.

كما أن التوراة السبعينية المتداولة في الكنائس الكاثوليكية والمطبوعة في المطبعة اليسوعية، فتختلف عن التوراة السبعينية المتداولة في الكنائس البروتستانتية، فهذه الأخيرة انقصت عدداً من الأسفار بادّعاء أنها مضافة على النسخة الأصلية مع إبدال في أسماء بعض الأسفار فسفر الأخبار في الطبعة اليسوعية، يقابله سفر اللاويين في الطبعة البروتستانتية، هذا بالإضافة إلى بعض الفروقات اللغوية بين الطبعتين.

تجدر الإشارة إلى أن السيدة هيلانه بلافتسكي تذكر في كتابها "كشف الحجاب" "Isis devoilee" الجزء الثاني صفحة ١٣٨ أن التوراة البابلية الأولى المسماة "كتاب الله" قد وضعها خلقيا، الكاهن، في المنفى، ثم إن عزرا بدأ بكتابة توراة جديدة باللغة الكلدانية أثناء وجوده في المنفى، أنهاها بعده يهوذا المكابي بعد إضافة بعض لتعديلات عليها.

أما ما يدّعيه اليهود بأنهم مبتدعو علوم السحر والفلك والتنجيم وتفسير الأحلام ومعرفة الغيب واسرار الحياة والموت وما وراءهما، فذلك للتحكم بمصائر الناس، وهذا ادّعاء ليس إلاّ

وكتاب الزوهار Zohar الذي وضعه الحاخام اليعازر Eliazar بمساعدة ربيـــبه الحاخام أبّا Abba نقلاً عن كتاب "مجد سليمان" "Splendeur de Solomon" الذي نحله والد الحاخام اليعازر عن كتاب Goupta Vidya الهندي فقد عُرف عند اليهود بكتاب المدراش Midrash الذي وضعت تعاليمه في التداول ما بين ٧٠-١٠٠ بعد الميلاد. وقد أعاد صياغته وجمعه وتنقيحه ببعض التعاليم المسيحية "Moise de léon de Valladolid" في القرن الثالث الميلادي.

أما كتاب "الخلق" "Le livre de la création" المعروف بكتاب يتزيرا Yetzirah المنسوب لإبراهيم فقد وضعه الحاخام يهودا-هو-ليفي Jehuda-ho-levi في القرن السادس الميلادي.

وما يمتلكه أجداد اليهود المذكورون في التوراة وما مارسوه من طقوس هذه العلوم التي لا يزال يعرفها بعض حاخامات اليوم المسماة الكابالا Cabalah، هو مأخوذ كله من ذاكرة كتبة التوراة أثناء معايشتهم لأهل بابل، أرباب هذه العلوم. كما أن كتابات اللوحات الفرعونية أثبتت وجود مثل هذه العلوم في مصر قبل وجود اليهود بزمن بعيد. وتصديق بعض أعلام المسيحيين لأقدمية ما جاء في المدراش بما يخص

الثالوث والتجسد، دفع بالبابا Pie de la Mirandole للقول سنة ١٤٨٦ للميلاد مصححاً ما كان قد جاء على لسان أوسابيوس Eusebe وما ذكره بولس الرسول في سفر الأعمال، القائلين بأن الثالوث والتجسد والألوهية، هي أمور موجودة قبل التوراة فقال إن ما جاء ذكره عن هذه الأمور لا يتعدّى القرن الأول قبل الميلاد، أي بعد العودة من السبي.

يقول الدكتور كانيلي DR.Kenealy الضليع في تاريخ الشعوب القديمة في كتابه "كتاب الله" "the book of God" صفحة ٣٨٣ "**إن جميع المحاولات الهادفة لإعطاء صفة الأقدمية الزمنية للكتب اليهودية قبل محاولة عزرا سنة ٤٥٨ قبل الميلاد، قد باءت جميعها بالفشل**".

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

كتابٌ واحدٌ أم كتابان؟

*

"إن التاريخ يوثّق بالمستندات وليس بالخرافات".

"L'histoire s'écrit avec des documents et non pas avec des légendes"

*

التوراة المتداول بها، تذكر سفري عزرا ونحميا ككتابين مستقلّين مع أن المطّلعين على هذه الأمور يعرفون أنهما كتابان لمضمون واحد. ويعتمد رجال الدين هذا التضليل لتشويش المتدينين البسطاء ولعدم كشفهم عن جذور اليهودية. كذلك الأمر بالنسبة لسفري الأيام الأولى والثانية، اللذين كُتبا بهدف وضع تاريخ كامل لليهود إبتداءً من آدم وحتى كتابتهما في القرن الخامس قبل الميلاد، لأن المادة الاساسية لهما، كُتِبَت أثناء الفترة الفارسية ثم نقّحت بعد مئتي سنة من إنتهاء الحكم الفارسي. وآحاديّة العمل في سفري عزرا ونحميا تبدو واضحة بسبب تكرار بعض الآيات وتنقيحها مما يثبت أن الكاتب هو نفسه، وذلك يعني بطلان وجود كاتبٍ آخر اسمه نحميا. والهدف من كتابة السفرين منفصلين هو ايجاد حيلة ترابطٍ بين الكاتبين لإثبات الزعم بشاهدين وليس إلاّ.

يقول العالم اللاهوتي جون هاو John How من جامعة الثالوث في كمبردج، إن أهمّية سفري عزرا ونحميا تكمن بتغطيتهما لفترة ما بين ٥٣٧ قبل الميلاد و٣٠٠ قبله، وهي فترة التأسيس الحصري للدين اليهودي. ولتأكيد نظرته يقول أن اليهودية تأسست خلال الفترة الفارسية لأن الأحداث المذكورة في سفري عزرا ونحميا حصلت خلال فترة ثلاثين سنة على عهدَي ارتحششتا الأول وداريوس الثاني.

لا يشك العالم "لي براون Lee Brown" في كتابه: "نقد التوراة" بأن عمل المدرسة الكهنوتية المعروفة بأسم المُدَوِّنة The Chronicler، التي كتبت هذه الكتب يشبه تماماً عمل من كتب سفر التكوين مع شيء من التعديل والتحريف لأن ما جاء في كتاب التكوين يشبه إلى حد ما ذُكر في سفر التثنية، اذ يركز هؤلاء الكتبة على طقوس تقديس الهيكل، ومحتوياته وكهنته والتي استمرت إلى ما بعد وضع عزرا ونحميا لأسس التشريع اليهودي وقد جاء في سفر المكابيين الثاني في الإصحاح الثاني والفقرة السابعة عشرة ما يلي: "**والله الذي خلّص جميع شعبه وردّ على الجميع الميراث والملك والمقدس**".

إن التأكيد على نسب السلالات والإهتمام البالغ بذكرها، وبالتفصيل في سفر عزرا وسفر أخبار الأيام كان القصد منه إعطاء صفة الأقدمية التاريخية لطقوس كهنوتهم وديانتهم المؤسسة حديثاً. في هذا السياق يقول العالم الأنتربولوجي M.E.Meeker في دراسته لعادات القبائل الساميّة في الجزيرة العربية "**إن اهتمام هؤلاء بعلم الأنساب يعود للمعتقدات الأيديولوجية وليس للتسلسل التاريخي الحقيقي**". **ويتابع فيقول: "إنّ إبتداء سفر الأيام بعلم الأنساب يهدف إلى لفت انتباه القارىء الى الملك داود الذي كرّس الطقوس الدينية القديمة**".

خلافاً لأسفار التوراة الخمسة الأولى التي يجب درسها من خلال مضامينها الداخلية، فإن سفري عزرا ونحميا يجب أن يؤخذا بمعطياتهما الخارجية. أما سِفْرَا المكابين الأول والثاني اللذان كتبهما، على الاصح، الكاهن اسدراس Esdras، الموجودان، فقط في التوراة اليسوعية، ولا تعترف التوراة البروتستانتية بهما على اعتبار انهما كتابان منحولان ولا يعرف إسم كاتبهما، في حين أن التوراة اليسوعية تقول أن كاتبهما يهودي كتبهما باللغة العبرية ثم تُرجم إلى اليونانية. في هذين السفرين تظهر التنقيحات التي أدت على زمن يوحنا هركانس

إلى تَجْزِيئ كتاب عزرا ونحميا إلى كتابين في الفترة التي تعود إلى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد أثناء محاولة جمع الكتاب "التوراة" بعد الحرب الأهلية حسبما ورد في سفر المكابين الثاني: "**وقد شرح ذلك في السجلات والتذاكر التي لنحميا وكيف أنشأ مكتبة جمع فيها أخبار الملوك والأنبياء وكتابات داود ورسائل الملوك حسب تقادمها، وكذلك جمع يهودا كل ما فقدناه في الحرب التي حدثت لنا وهو عندنا**"(مكابين الثاني٢: ١٣-١٤).

هذه المعلومات تفسّر التدرّج التاريخي للأحداث، الذي، لم ينتبه إليه المهتمون بتصحيح الأمور؛ وعليه فإن سفري عزرا ونحميا يبدوان كمحاولتين مختلفتين وغير دقيقتين لجمع الأخباروذكر ما نسي منها. تماماً كما هو حاصل مع كاتب سفر دانيال فلقد غاب عن ذهن مؤلفي هذه الكتب الترتيب الزمني للملوك الفرس. وهذا إثبات أن ما كُتب لم يكن في المرحلة الفارسية وإنما في مرحلة لاحقة لها.

يقول الفيلسوف اليهودي "باروخ سبينوزا Baruch Spinoza" في كتابه Tractacus theo logico-politucus أن عزرا هو موسى نفسه مؤلف كتاب التوراة بأسفارها الخمسة الأولى Pentateuch. مما دفع بالسلطات الكنسيّة سنة ١٦٧٧

ميلادية لإصدار حرم بابوي على الكتاب. وقد جاء في سفر عزرا ما يدعم رأي الفيلسوف باروخ سبينوزا "**صعد عزرا،هذا، إلى بابل وهو كاتب ماهر في توراة موسى الذي أعطاها الرب إله اسرائيل**"(**عزرا٧: ٦**).

لم يرد في سفر المكابيين الأول أي ذكر لنحميا وهذا أمرٌ ملفتٌ، ولعلّ القصد من ذلك هو تجاهل الكاهن نحميا لمصلحة الكاهن اليهودي المفترض أنه عزرا، على الرغم من أن هذا السفر ينتهي بكلمات النص اليوناني نفسها التي جاءت في سفر نحميا "**وفي اليوم الثاني اجتمع رؤوس جميع الشعب والكهنة واللاويين إلى عزرا الكاتب ليفهمهم كلام الشريعة**"(نحميا٨: ١٣).

هذه الكلمات لم ترد في النص العبري على الرغم من وجود أجزاء كاملة متشابهة بين عزرا ونحميا وسفرأسدرا Esdras أي سفر المكابيين. ومن المغالطات المذكورة في سفري حجّاي وزكريّا أن العائدين من السبي هو الكاهن زرو بابل الذي كان يعتبر المسيح المخلص، وهو الإبن الأكبر للكاهن جواشيم Joconiah الذي سبي سنة ٥٩٧ قبل الميلاد، وكان رفيقه في طريق العودة يشوع إبن الكاهن الأكبر. فيكون أن عزرا هو عمّ يشوع، لأن عزرا هو شقيق الكاهن الأكبر والد يشوع الذي عاد من المنفى سنة ٤٥٨ قبل الميلاد، في الشهر الخامس من السنة السابعة لارتحششتا في حين أن يشوع عاد سنة ٥٢٠ قبل الميلاد، على أبعد تقدير.

على الرغم من هذا التناقض الذي تثبته عدم دقة المعلومات الواردة في هذه الاسفار، فلا يزال المتشددون اليهود والمسيحيون يقدّسون الترابط النسبي العجائبي دفاعاً لارتباط المسيح بنسل داود.

أثناء السرد التوراتي لعودة المسبيين تبدو قوائم العائدين متشابهة بين عزرا٢: ١-٧٦ وبين نحميا٧: ٦-٦٩ مع مفارقة في زمن وأسبقية العودة سنة ٥٣٦ قبل الميلاد، على زمن شيشبصّرShishbazzar رئيس يهوذا الذي استلم المسبيين من

مثردات خازن الملك الفارسي قورش: "**هذا هو الشعب الذي سباه نبوخذ راصر في السنة السابعة، من اليهود ثلاثة آلاف وثلاثة وعشرون. وفي السنة الثامنة عشرة لنبوخذ راصر سبي من أورشليم ثماني مئة وإثنان وثلاثون نفساً. وفي نفس السنة الثالثة والعشرين لنبوخذ راصر سبى نبوز ردان، رئيس الشرط، من اليهود سبع مئة وخمساً وأربعين نفساً. جملة النفوس أربعة آلاف وستماية"(أرميا٥٢: ٢٨-٣٠).**

القائمة التي تسلّمها شيشبصّر من مثردات، خازن الملك قورش، تشمل إثنين وأربعين ألفاً وثلاث ماية وستين مسبيّاً، بالإضافة إلى سبعة آلاف وثلاثماية وسبعة وثلاثين عبداً، ومئتي مطرب ومطربة. كما ذكرت القائمة الحيوانات المرافقة لهؤلاء، سبعماية وستة وثلاثين رأس خيل، مئتين وخمسة وأربعين بغلاً وأربعماية وخمسة وثلاثين جملاً، وستة آلاف وسبعماية وعشرين حماراً.

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

خلال سبعين سنة من السبي، هل من المعقول أن يتضاعف عدد المسبيين حوالي عشرين ضعفاً على ما هم عليه يوم وصولهم بابل؟. لو افترضنا أن نصف المسبيين الذين ذكرهم أرميا من النساء أي ٢٣٠٠ امرأة، فهل من المعقول أن يلد هذا العدد من النساء، حتى مع بناتهن اللّواتي أصبحن منجبات في فترة السبي ٤٢٣٦٠ نفسا؟. ألا يثير الدهشة والعجب هذا الرقم الخيالي في الإنجاب والتناسل؟.

لدى وصول المسبيين إلى أرض فلسطين ظهر الخلاف واضحاً بينهم بسبب بناء الهيكل: "**فتنبأ النّبيّان حجّاي النبي، وزكريا ابن عدوٍ لليهود الذين في يهوذا وأورشليم بأسم إله اسرائيل عليهم. حينئذ، قام زر بابل بن شالتئيل ويشوع بن يهو صاداق وشرعا ببنيان بيت الله الذي في أورشليم... في ذلك الزمان جاء إليهم نتناي والي عبر النهر، وشتربوزناي ورفقاؤهما وقالوا لهم من أمركم أن تبنوا هذا البيت وتكملوا السور**"(عزرا٥: ١-٣).

وفي عزرا الإصحاح الرابع تظهر مقاومة بناء الهيكل واضحة بين الأطراف المتنازعين. فالمتشددون ليهوه رفضوا مشاركة اليهود من أتباع نحميا الفارسي في أعمال البناء. وهذا يعني أن عقد اتفاق الوحدة الألوهية بين أهورامزدا ومردوك

ويهوه قد فُسِخَ. كما إن ما جاء في الفقرة السابعة من السفر نفسه يثبت الشقاق على بناء الهيكل بين دعاة الوحدة الألوهية وبين أتباع يهوه الذين بقوا في جبال اليهودية.

هذا الأمر أثار حفيظة دعاة الوحدة، فكتبوا إلى الملك أرتحششتا يعلمونه بما جرى. "**في أيام أرتحششتا كتب بشلام ومثردات وطبئيل وسائر رفاقهم إلى ارتحششتا ملك فارس. وكتابة الرسالة مكتوبة بالأرامية. رحوم صاحب القضاء وشمشاي الكاتب كتبا رسالة ضد أورشليم إلى الملك أرتحششتا هكذا**" (عزرا٤: ٧-٩).

بناء عليه فقد أجاب الملك على الشكوى هذه وأمر بوقف بناء الهيكل: "**حينئذٍ لما قُرِئت رسالة أرتحششتا الملك أمام رحوم وشمشاي الكاتب ورفاقهما ذهبوا بسرعة إلى أورشليم، إلى اليهود وأوقفوهم بذراع وقوة. حينئذٍ توقّف عمل بيت الله وكان متوقّفاً إلى السنة الثانية من ملك داريوس ملك فارس**" (عزرا٤: ٢٢-٢٤).

يلاحظ من قراءة الرسالة الموجّهة إلى أرتحششتا وجوابه عليها وجود مغالطة استراتيجيّة فيها، هي تلك المتعلقة بمساعدة الدولة الفارسية لليهود ببناء الهيكل لاسترضائهم خاصة في زمن قورش وداريوس فيما بعد، ولكن هذا لا يعني

تخلّي الفرس عن إيمانهم بأهورامازدا وبالتالي لن يكون على حساب فسخ الشراكة الإيمانية بين الفرس واليهود، لذلك أصدر أرتحششتا أمره بوقف بناء الهيكل فقورش وداريوس لم يساعدا فقط لأجل تجنب قلاقلهم وشغبهم أو لمنع تحالفهم مع اعدائهم المصريين، بل من اجل هدف عقائدي وديني بحت. في الحقيقة أن من تقرّب إلى اليهود من الملوك الفرس هو الملك أويل مروداك ابن نبوخذ نصر، إذ لدى خلافته لوالده على العرش، منّ على يوياكين ملك اليهود، وقرّبه إليه بعد أن كان مسجوناً في ظل حكم أبيه. ويصف المؤرخ الشهير بيروس الملك أويل مروداك بأنه كان ضعيف الشخصية واهن العزيمة، فثار عليه الشعب وقتله متّهما إياه بأنّه قد صار يهودياً. (التوراة اليسوعية، الجزء الثاني، صفحة ٨٩٧).

إذا ما أخذنا بصحة الجدولة الزمنية للأحداث فإن عودة عزرا ونحميا تمّت في عهد أرتحششتا الثاني وليس في عهد داريوس الثالث حسبما ورد في نحميا: "**وكان اللاويّون في أيام الياشيب ويوياداع ويوحانان ويدوع، مكتوبين رؤوس آباء والكهنة أيضاً في ملك داريوس الفارسي**" وتجدر الإشارة إلى أن نحميا كان معاصراً لإلياشيب وكان زرادشتياً يعمل كساقٍ للملك الذي أرسله كمرزبان على فلسطين، في حين أن عزرا

وهو أصغر بعشرين سنة من نحميا، كان معاصراً ليوحانان بن ألياشيب Jahanan.

إن الترتيب التاريخي لهذه الأحداث مدعاة للشكّ لأن عزرا عاد في السنة السابعة لحكم أرتحششتا الاول في حين أن نحميا قد عاد في السنة العشرين من حكم الملك نفسه. وفي هذا تناقض فاضح لأن ما جاء به عزرا كان مستنداً الى ما كان قد اتى به نحميا قبله بثلاثين سنة. وقد جاء في عزرا: "**لأننا عبيد نحن، وفي عبوديتنا لم يتركنا إلهنا بل بسط علينا رحمة أمام ملوك فارس ليعطينا حياة لنرفع إلهنا ونقيم خرائبه**"(**عزرا٩: ٩**). قول عزرا يثبت أن البناء تمّ على يد نحميا قبل عزرا، وإن كان الأمر غير ذلك فهذا يعني أن أورشليم قد هُدِمَت مرتين خلال هذه الفترة الزمنية، وهذا ما لم يذكره أيّ مؤرّخ.

يذكر عزرا أن الهيكل كان ممتلئاً: "**لأن الشعب كثير والوقت وقت أمطار ولا طاقة لنا على الوقوف في الخارج والعمل ليس ليوم واحد أو لإثنين...**"(عزرا١٠: ٩-١٣).

أما نحميا فيقول غير ذلك: "**وكانت المدينة واسعة الجناب وعظيمة والشعب قليلاً في وسطها ولم تكن البيوت قد بُنيت**"(**نحميا٧: ٤**).

يروي المؤرخ يوسيفوس أسباب العداء بين السامريين واليهود الأصوليين الرافضين للدمج الألوهي وبين الداعين لهذا الدمج، فيقول أن الخلاف وصل إلى داخل العائلة الواحدة. فجوهانان قتل أخاه يوشيا Joshua داخل الهيكل ولم يتحرك المرزبان الفارسي لمعاقبة القاتل، لأن الأخ القتيل كان مناوئاً للإندماج الديني، ومثيراً للمشاكل ضد بناء الهيكل. ولما علم عزرا بالأمر طلب الإذن من ملكه أرتحششتا وأتى إلى فلسطين لتهدئة الأمور محمّلاً بالهدايا المرسلة معه إلى إله اسرائيل."**والذي في أورشليم مسكنه**"(عزرا٧: ٥).

ما جاء به عزرا يثبت فوقيته على الحكم الإداري لفلسطين، كما يثبت الصراع القائم داخل المجتمع اليهودي حول الإنصهار والإندماج مع المعتقد الزردشتي الذي يمثّله عزرا بنفسه، الذي أتى إلى فلسطين معززاً بأوامر صرف الأموال بسخاء والإغراء بالإعفاء عن دفع الجزية، بغية تهدئة خواطر المعارضين والمشاكسين أو إغرائهم بغية تغيير مواقفهم والإنضمام إلى مجموعته ومن بينهم اللاّويّون الذين لم يذعنوا إليه، فأبدلهم بكهنة من غير سبط اللاويين. "**من أجل أنك مرسلٌ من قبل الملك ومشيريه السبعة لاجل السؤال عن يهوذا وأورشليم حسب شريعة إلهك التي بيدك، ولحمل فضة وذهب**

تبرّع به الملك ومشيروه لإله إسرائيل الذي في أورشليم مسكنه" (عزرا٧: ١٤).

في موضع آخر يقول عزرا إنه جاء إلى فلسطين في السنة السابعة من عهد داريوس ليدشّن جدران المدينة والهيكل وليعلن الناموس. هذا التوقيت فيه مغالطة تاريخية، فقد خلط الكاتب بين السنة السابعة لداريوس والسنة السابعة لارتحششتا، وهذا منطقي جداً لأن عزرا ونحميا كانا متزامنين في عهد أرتحششتا وليس في عهد داريوس على الرغم من فارق العمر بينهما.

يذكر أرميا أن السبي سيستمر سبعين سنة يعود بعدها المسبيّون إلى ديارهم ويعاقب الله ملك بابل على سبيه لهم"**ويكونوا عند تمام السبعين سنة أني اعاقب ملك بابل وتلك الأمّة يقول الرب**"(أرميا٢٥: ١٢).

من مراجعة الأحداث التاريخية لمسار التقاليد اليهودية يتبيّن أن عزرا هو الذي اسس لممارسة الطقوس وإقامة الشعائر في الاعياد. والأقدميّة التاريخية المزعومة لها، فقد نسبها لموسى قصد التقديس الذكي الذي لا يمكن إثباته نظراً لبعد الزمن وفقدان الشاهد. ومن المعروف أن الأديان اللاحقة لليهودية عمدت بدورها لإنتحال طقوس الشعوب التي مرّت

فيها، محاولة خلق أعياد مشابهة أو إبدال أسمائها بهدف طمس أسماء الآلهة الوثنية لتلك الشعوب وإحلال معتقدها بدلاً عن معتقداتها، كما حصل عند المسيحيين بإبدالهم لزمن عيد ميلاد يسوع من ٢٥ ايلول وجعله في الخامس والعشرين من كانون الأول ليحل محل عيد الميترا الوثني. والأمر نفسه يحصل في هدم الكنائس ومقامات العبادة وإشادة مقامات لرموز دينية تبُنى على الأسس المهدمة لتلك الكنائس والمقامات، مثل الجامع الأموي في دمشق، وكنيسة الأجيا صوفيا في اسطنبول، والجامع الأقصى في القدس وغيرها وغيرها... كذلك الكنائس المشادة على ما هُدِمَ من المعابد الوثنية قصد محو ذكرها من التاريخ. فالمحتلّ الأقوى، يحاول بمختلف الطرق إزالة جميع المؤثرات الحضارية التي كانت موجودة قبل إحتلاله، بغية فرض مفاهيمه الجديدة على الشعوب المُستَضعَفَة، طلباً للإستمرار والديمومة. وما محو تاريخ جميع الشعوب القديمة التي سبقت الميلاد، وتثبيت تاريخ جديد للبشرية بعد ميلاد يسوع الناصري، إلا إثباتٌ لهذه النظريّة.

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

طقــوسٌ وآلهــةٌ

*

"إن خالق هذه الأكوان واحد، أحد،
لكن طرق التعرّف إليه أو التقرّب منه، هي بعدد خلائقه"

*

في المجتمعات البدائية، القديمة، كانت النساء وأطفالهن يعيشون منفصلين عن الرجال. وكانت الأم مصدر الحياة والإنضباط في الاسرة، ومن الطبيعي أن تكون صورة للكائن الأسمى، واهب الحياة ومصدر الخصب واللذة. لذلك كُرّست إلآهةً لمئات السنين في الديانات القديمة، بعكس الديانات السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام، فهي تختفي تقريباً ليصبح الدور الأساسي للرجل. فالتوجّه للإله في هذه الديانات الثلاث،هو توجّه ذكوري، والكهنة ورجال الدين على مختلف مراكزهم ومراتبهم هم من الذكور أيضاً.

لم يتجرّأ أي من الباحثين والعلماء اللاهوتيين على البوح بحقيقة أن سكان الارض الكنعانية، ومن بينها فلسطين، كانوا يمارسون طقوساً وعادات تشير إلى الإله الواحد، إيل، قبل وصول الفرس واليونان إلى هذه المنطقة. وقد أثبتت

اكتشافات أوغاريت أن الكنعانيين كانوا يؤمنون بالثالوث المقدس إلى جانب اعترافهم ببقية الآلهة التي تمثّل مختلف عناصر القوى الكونية. فلقد أقاموا هيكلاً جامعاً "بانتيون" لكل الآلهة وعلى رأسها إيل وزوجته عشتروت أو عشتار وابنه حدد، الذين يشكّلون مثلث الإيمان، بحيث أن حتمية الوجود لا تتمّ إلا بوجود الروح القدس المؤنث والآب المذكر، والإبن أيضاً، في وحدة تكاملية مندمجة بذاتها، تولد ذاتها من ذاتها. Androgene ولدى انصهار اليهودية في الفكر الزرادشتي في القرن الخامس قبل الميلاد، أزيلت فكرة التأنيث من الألوهية، التي تشكل أحد عناصر التثليث عند الزرادشتيين والكنعانيين على السواء وأصبح الاله عندهم ذكرياً، فألغوا من طقوسهم التوجه للإلهة الميترا أو غيرها من الآلهة المؤنثة.أما المسيحية فأعادت الإعتبار لوحدة الثالوث، فالأب مذكر، والروح القدس مؤنث والإبن مذكر.

لدى وصول إبراهيم الى الأرض الكنعانية وتعرفه على عاداتها وطقوسها الإيمانية، آمن بفكرة الإله الواحد، إيل، الذي كان مضيفه أبيمالك يؤمن به، كذلك ملكي صادق كاهن مدينة ساليم المجوسي، اليبوسي. هذا لا يعني أنّ ايمان أبيمالك وملكي صادق وأبراهيم كان منتشراً في كل البلاد الكنعانية ومُلزِماً

لسكانها.إذ تشير التوراة الى وجود ثلاثة إلآهات مؤنّثة في الأرض الفلسطينية: أشيراه Asherah وعشتروت Astarte وملكة الجنة، أي الشمس، التي كان شعب هذه المنطقة يحبّها كثيراً ويميِّزها في طقوس العبادة عن بقية الإلهات. واستمر الإيمان بهذه الآلهة إلى ما بعد عودة اليهود من السبي ومحاولتهم لفرض ايمانهم بإلههم يهوه وإزالة بقية الآلهة القديمة التي استمرّ الإيمان بها والتوجّه اليها إلى ما بعد المسيحية بعدة قرون. فيقول أرميا في هذا الصدد لدى توجهه إلى يهوذا: "**أما ترى ماذا يفعلون في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم. الأبناء يلتقطون حطباً، والآباء يوقدون النار ليصنعوا كعكاً لملكة السموات ولسكب سكائب لآلهة أخرى**" (أرميا ٧: ١٧-١٨).

فعادة صناعة الكعك المزخرف، الوثنية،لم تمح من الذاكرة الإجتماعية لشعوب المنطقة. فعلى الرغم من مرور ثلاثة آلاف سنة وأكثر، ولا تزال عادة صناعة الكعك البيتي المزخرف بالنقوش والرسومات تمارس عند المسيحيين في عيد الفصح، وعند المسلمين والدروز في عيد الأضحى، والتي لا يزال اليهود يمارسونها في عيدي الفصح والمظال.

على الرغم من ادعاء اليهود بصحة انتسابهم إلى إلههم يهوه، فلم يفلح أنبياؤهم في تعميم عبادته في منطقة تواجدهم

اكتشافات أوغاريت أن الكنعانيين كانوا يؤمنون بالثالوث المقدس إلى جانب اعترافهم ببقية الآلهة التي تمثّل مختلف عناصر القوى الكونية. فلقد أقاموا هيكلاً جامعاً "بانتيون" لكل الآلهة وعلى رأسها إيل وزوجته عشتروت أو عشتار وابنه حدد، الذين يشكّلون مثلث الإيمان، بحيث أن حتمية الوجود لا تتمّ إلا بوجود الروح القدس المؤنث والآب المذكر، والإبن أيضاً، في وحدة تكاملية مندمجة بذاتها، تولد ذاتها من ذاتها. Androgene ولدى انصهار اليهودية في الفكر الزرادشتي في القرن الخامس قبل الميلاد، أزيلت فكرة التأنيث من الألوهية، التي تشكل أحد عناصر التثليث عند الزرادشتيين والكنعانيين على السواء وأصبح الاله عندهم ذكرياً، فألغوا من طقوسهم التوجه للإلهة الميترا أو غيرها من الآلهة المؤنثة.أما المسيحية فأعادت الإعتبار لوحدة الثالوث، فالأب مذكر، والروح القدس مؤنث والإبن مذكر.

لدى وصول إبراهيم الى الأرض الكنعانية وتعرفه على عاداتها وطقوسها الإيمانية، آمن بفكرة الإله الواحد، إيل، الذي كان مضيفه أبيمالك يؤمن به، كذلك ملكي صادق كاهن مدينة ساليم المجوسي، اليبوسي. هذا لا يعني أنّ ايمان أبيمالك وملكي صادق وأبراهيم كان منتشراً في كل البلاد الكنعانية ومُلزِماً

لسكانها.إذ تشير التوراة الى وجود ثلاثة إلآهات مؤنّثة في الأرض الفلسطينية: أشيراه Asherah وعشتروت Astarte وملكة الجنة، أي الشمس، التي كان شعب هذه المنطقة يحبّها كثيراً ويميّزها في طقوس العبادة عن بقية الإلهات. واستمر الإيمان بهذه الآلهة إلى ما بعد عودة اليهود من السبي ومحاولتهم لفرض ايمانهم بإلههم يهوه وإزالة بقية الآلهة القديمة التي استمرّ الإيمان بها والتوجّه اليها إلى ما بعد المسيحية بعدة قرون. فيقول أرميا في هذا الصدد لدى توجهه إلى يهوذا: "**أما ترى ماذا يفعلون في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم. الأبناء يلتقطون حطباً، والآباء يوقدون النار ليصنعوا كعكاً لملكة السموات ولسكب سكائب لآلهة أخرى**" (أرميا ٧: ١٧-١٨).

فعادة صناعة الكعك المزخرف، الوثنية،لم تمح من الذاكرة الإجتماعية لشعوب المنطقة. فعلى الرغم من مرور ثلاثة آلاف سنة وأكثر، ولا تزال عادة صناعة الكعك البيتي المزخرف بالنقوش والرسومات تمارس عند المسيحيين في عيد الفصح، وعند المسلمين والدروز في عيد الأضحى، والتي لا يزال اليهود يمارسونها في عيدي الفصح والمظال.

على الرغم من ادعاء اليهود بصحة انتسابهم إلى إلههم يهوه، فلم يفلح أنبياؤهم في تعميم عبادته في منطقة تواجدهم

وبين اليهود أنفسهم. ويقول أرميا: "**وقال لي الرّب في أيام يوشيا الملك. هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل. انطلقت إلى كل جبلٍ عالٍ وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك. فقلت بعدما فعلت كل هذه ارجعي اليّ. فلم ترجع.فرأت أختها يهوذا... فكان من هوان زناها أنها نجّست الأرض وزنت مع الحجر والشجر... وفي كل هذا أيضاً لم ترجع اليّ أختها الزانية يهوذا بكل قلبها. بل بالكذب يقول الرب**". (أرميا٣: ٦-١٠).

الزنى الذي يذكره أرميا هو مجازي أكثر مما هو ممارسة جنسية بين الرجل والمرأة. هو تعبّد للآلهة الوثنية المتمثلة بالشجر أو بالحجر أو بمختلف الظواهر الطبيعية. ومن التدقيق فيما جاء على لسان أرميا من وصف لعادات أهل المنطقة في التعبّد يبرز السؤال: أليست إقامة الأديرة والمزارات والصوامع في الأماكن المرتفعة، وتزيين الأشجار الخضراء في عيد الميلاد، هي تتابع لطقوس العبادات القديمة التي كانت تمارسها الشعوب الكنعانية في هذه المنطقة؟!...

ورد اسم الإلهة المؤنثة أشيرات Asherah أربعين مرة في التوراة التي تصفها تبني أو تهدم أو تزرع. وقد حاول مترجمو الكتاب المقدس لنسخة الملك جايمس، في القرن السابع

عشر، تمويه كلمة أشيرات Asherah بكلمة بستان، وذلك بقصد إخفاء فشل اليهود بإزالة الإيمان بهذه الآلهة المؤنّثة من منطقة الهلال الخصيب.

بالانتقال الى عبادة الإله المذكّر، يهوه، تعترف التوراة، في العديد من أسفارها بأن الإسرائيليين قد عبدوا العجل المعروف عندهم بإسمي كوشان وشعتايم، وقد عاقبهم الرب على ذلك: "**فعمل بنو إسرائيل الشرّ في عينيّ الرب، ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والعشتروت فحمي غضب الربّ عليهم فباعهم بيد كوشان ملك أرام النهرين. فعبد بنو اسرائيل كوشان وشعتايم ثماني سنين**"(قضاة٣: ٧-٨).

هذا التحول إلى عبادة إلهي الخصب العشتروت الأنثى التي تمثل الأنوثة والعطاء والخصب إلى جانب عبادة البعليم الوثن العاري الذي يمثل الذكورة وكان يُرمَز إليه بالقواميع الحجرية عند الشعوب الكنعانية وعند المصريين بالأعمدة المرتفعة ذات الأجران المزينة بالنبات و بالاخضرار أو بالمسلات العمودية، التي لا يزال الكثير منها موجوداً في مصر. وفي الفيافي الصحراوية كان البدو يرمزون الى ذلك برفع بعض الحجارة فوق بعضها، أو الإكتفاء بغرس بعض الحجارة المستطيلة بشكل عامودي لتمثيل القضيب الذكري

المنتصب. ولا يزال الكثير من الحجارة المشوقعة فوق بعضها أو المبني منها، ماثلاً في الكثير من المرتفعات والسهول والفيافي ومنها قاموع الهرمل الشهير في منطقة البقاع الشمالي من لبنان. هذا الصراع بين تأليه الذكورة أو الأنوثة بدا واضحاً في المدرسة اليهودية وامتدّ إلى ما بعد نحميا وعزرا. ففي خربة كوم في الأراضي المصرية، اكتشفت نقوش تشير إلى يهوه وإلى جانبه أشيرات. مما يدلّ على أنّه مثل آلهة ذلك الزمان، وهذا ما شكّل صدمة للأصوليين اليهود والمسيحيين المتزمّتين توراتيا، سبّبت التّصدّعات والإنهيارات داخل هيئات المؤمنين المتزمّتين الذين نفوا أن يكون ليهوه عشيقة أو زوجة، مدّعين أن ما تمثّله أشيرات في النقش ليس أكثر من صور لمذبح أو لشمعدان. وأن ما نسب ليهوه من زواج أو عشق جنسي هو من ترويج اليهود المصريين المنشقّين. وعليه فإن يهوه، انتقاماً منهم، أنزل بهم المصائب والويلات.

كان لدمج الفرس لإلهة الجنّة MITRA الميترا مع يهوه بشخص أهورامازدا، السبب الذي دفع بعزرا لإبتداع تاريخ خيالي يروّج للمعتقد الجديد في مجتمع المسبيين المتصدّع فكرياً. ومن نتيجة هذا التصدع نشأت الحركة المكابية المتشددة بالإيمان بيهوه دون غيره من الآلهة، اليونانية أو

الفارسية أو الرومانية أو غيرها. وكانت الحروب المكابية موجّهة بالأساس ضد المتهلينين الإباحيين الذين نشطوا في فترة الحكم اليوناني للمنطقة، كذلك ضد الذين استمروا بعبادة اشيرات وأنات Aneth بنت الإله إيل وغيرها من الآلهة.

بعد قيام أنطونيوس أبيفانوس بتدنيس الهيكل سنة ١٧٠ قبل الميلاد، وتمادي الممارسات الشاذة والمتهتكة داخل الهيكل أثناء الإحتفالات الدينية للمؤابيين والعمونيين المتأثرين بالثقافة اليونانية التي تعتبر الممارسات الجنسية صورة للخصب الإلهي ودعوة للتشبه بها، مما أدّى لظهور الإنقسامات اليهودية بين الحسيديم والحشمونيين، وبالتالي لظهور المتطرفين المتعففين من أمثال الأسينيين الرافضين للتهتك الجنسي بعد الإحتفالات الدينية. هذا الأمر دفع بحكماء التلمود لوضع تعليمات تدعو للتعفف وللقول أن عرض صورة الملاكَيْن المتصلَيْن جنسيّاً في الهيكل مأخوذة من تأثير الفكر اليوناني، مخالف للحشمة ولقدسية الهيكل.

في أحد الأبحاث حول العادات والطقوس الدينية عند اليهود يقول الباحث رفائيل باتاي، نقلاً عن التلمود "إن الكاهن في إحدى مراحل كهانته، المعروفة باسم devir، أثناء إزاحة الستار الذي يفصل قدس الأقداس عن القاعة العامة فتظهر

صورة الملاكين المتصلين جنسياً بقوله لجمهور المصلين إن الحب أمام الله هو كحب الرجل للمرأة:

"Behold ! your love before God is like the love of male and female"!

أما فيلون المؤرخ اليهودي الذي زار القدس فوصف الطقوس الهيكلية وكيفية تقديم النذورات وما يرافقها من ممارسات جنسية، فيقول إن الكاهن بسبب عبق دخان البخور الكثيف، يصبح كالأعمى، فلا يرى ما يجري داخل القاعة العامة من ممارسات.

التهتك الجنسي عند اليهود بعد الإحتفالات الدينية أو أثناءها لـــه ما يبرره في التوراة حسبما جاء في سفر هوشع: **"أول ما كلّم هوشع قال الربّ لهوشع إذهب خذ لنفسك إمرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركةً الربّ. فذهب وأخذ جومر بنت ديلام فحبلت وولدت له إبناً"** (هوشع١: ١-٣). وحسبما جاء في قصة ابيمالك وإسحق وقبلهما إبراهيم، فإنّ السماح للرجل بإعارة زوجته قصد التقيّة والتستّر، والخوف على الحياة أو طلباً للمنفعة المادية، فهو أمرٌ شائع ولا ضير منه عند اليهود. وأما المداعبة الجنسية وممارستها علناً، فقد تمادى فيها اليهود واستمرّت من زمن هارون إلى ما بعد العصر المكابي **"فنـــزع كل الشعب أقراط الذهب التي في**

آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه. ونادى هارون وقال غداً عيد الربّ. فبكّروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدّموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب ثمّ قاموا للّعب"(خروج٣٢: ١-٥).

كلمة اللّعب الواردة في قصة أبيمالك وإسحق وتلك الواردة في سفر الخروج لا يقصد بها، بالطبع، لعب الكرة والسباق والجريد، وإنما المقصود بها العمليات الجنسيّة العامة وما يرافقها من تهتّك وإباحية. "**وحدث، إذ طالت له الأيام هناك، أن أبيمالك، ملك الفلسطينيين أشرف من الكوّة ونظر فإذا إسحق يلاعب رفقة إمرأته. فدعا أبيمالك إسحق وقال له إنما هي إمرأتك. فكيف قلت لي إنها أختي؟؟"(تكوين٢٦: ٨-٩).** بعد مساعدة بطليموس، محبّ أخيه Ptolemy Philadelphus، لليهود بوضع أسس التوراة وترجمتها إلى اليونانية، قام ابنه بطليموس الثالث، الذي اعتنق اليهودية، بذبح بعض اليهود المتهتكين داخل الهيكل وهم يتسترون بأوراق العنب، واستعبد بعضهم الآخر، محاولاً وضع حد للإباحية الدينية داخل الهيكل وأثناء الإحتفالات خارجه.

من الملاحظ، اليوم، أن موضة وضع الأقراط الذهبية في آذان الشباب الذكور وخزمهم لأنوفهم بها، هي من مخلّفات العادات اليهودية للتعرّف على بعضهم البعض قد أصبحت شائعة في بلدان العالم الغربي وفي بعض العالم العربي ومنها لبنان. يقول القديس أوريجين(١٨٥-٢٥٣) بعد الميلاد: "من هو الإنسان العاقل الذي يؤمن بأن يوم الخلق التوراتي الأول والثاني والثالث كان هناك مساءٌ ونهارٌ ولم يكن هناك شمسٌ وقمرٌ ونجومٌ وبأنه لم يكن في اليوم الأول سماء؟!... وإذا أخذنا بحرفية ما جاء في الشريعة، كما يفعل اليهود وبسطاء المسيحيين، فإني احمرّ خجلاً إذا كان الله هو من وضع هذه الشريعة، لأن قوانين وشرائع الناس تبدو أفضل وأكثر منطقية منها".

Origène: Huet, origine niana, Frank, ٢١, Citation tirée du Sod de Dunlap page ١٧٦.

إلـــــهٌ أو آلـهـــــةٌ؟!.

*

"إن الصمت هو سلاح الشّر الأكثر فعالية"

موريس هاغر "دم تولوز"

"Le silence est l'arme la plus puissante du mal"

Haurice hagre- "le sang de Toulouse"

*

بمتابعة جميع وقائع القصص التوراتية من ألفها إلى يائها تظهر حاجة اليهود إلى مخلّصٍ يساعدهم على من حولهم من الشعوب لقتلها، وسرقتها والإحتيال عليها، وطردها والأستيلاء على ممتلكاتها، وزرع أرضها بالملح وإفسادها بالحجارة، والقضاء على كل بائل منها في حائط والإبقاء على فتياتها البكور اللواتي لم تَعْرِفْنَ ذكراً، للتسرّي بهن.

كل مفاهيم الإيمان عند اليهود تعتمد إلى الحاجة الدائمة لمخلّص مقابل الإعتراف بألوهية مُرسِله والإنتساب اليه، وإقامة الوعود النّديّة المتبادلة بين الطرفين. وما التنبّؤات الظرفية والظهورات الحلميّة، وترائي الإله وإسراره لأبطالها بالوعود والمباركة ومن ثم رفع الأحجار المستطيلة عمودياً وتقديسها بمسحها بالدهن أو سكبه عليها، لتكون شاهدة على اتفاق

الطرفين، إلاّ لتثبيت الحُلم بإقامة الدولة العتيدة بمساعدة ذلك الإله المزعوم. والإتفاق الفعلي الأول الموثّق، كان بين يعقوب والإله المجهول، فأثناء ارتحال يعقوب من بئر سبع إلى حاران، ومروره في لوز من أرض كنعان ظهر له، الله، هناك، فأقام مذبحاً ودعا ذلك المكان بيت إيل؛ أي بيت الإله الكنعاني إيل، الذي نسب الشعب اليهودي نفسه اليه، فكانت إسرائيل، أي أسرة إيل، وجميع الملائكة المنتهية اسماؤهم بإيل: مثل جبرائيل وعزرائيل... بما في ذلك كلمة البرازيل فهي اشتقاق ونسب للإله الفينيقي الكنعاني إيل، لأن المكتشفات الحديثة هناك أثبتت أن الفينيقيين هم مكتشفو تلك البلاد فأقاموا فيها ومارسوا عبادة إيل على أرضها فسمّوها أرض إيل.

في لوز الكنعانية بارك إيل يعقوب وقال له: "**لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون إسمك إسرائيل. وقال له الله أنا الله القدير. أثمر وأكثر. أمة وجماعة أمم تكون منك.وملوك سيخرجون من صلبك. والأرض التي أعطيت لأبراهيم واسحق لك أعطيها. ولنسلك من بعدك أعطي الأرض. ثم صعد الله عنه في المكان الذي تكلّم معه. فنصب يعقوب عموداً من حجر. وسكب عليه سكيباً وصبّ عليه زيتاً ودعا يعقوب إسم المكان الذي تكلّم الله معه بيت إيل**"(تكوين٣٥: ٩-١٥).

ليس من المصادفة أن يلتقي الإله الكنعاني، إيل، مع يعقوب في بئر سبع. فتلك البئر كان قد اشتراها جدّه إبراهيم، مخادعة من صاحبها الأصيل أبيمالك، الذي أشفق على إبراهيم فسمح له بالرعي والمأوى وسقاية الماشية. وقصة تلك البئر مروية في سفر التكوين: "**وحدث في ذلك الزمان أن أبيمالك وفيكول رئيس جيشه، كلّما إبراهيم قائلين له الله معك في كل ما أنت صانع. فالآن أحلف لي بالله ههنا أنك لا تغدر بي ولا بنسلي وذرّيتي. كالمعروف الذي صنعت إليك تصنع إليّ والى الأرض التي تغرّبت فيها. فقال إبراهيم أنا أحلف. وعاتب إبراهيم أبيمالك بسبب بئر الماء التي منعها عنه عبيد ابيمالك. فقال أبيمالك لم أعلم من فعل هذا الأمر. أنت لم تخبرني ولا انا سمعت سوى اليوم. فأخذ إبراهيم غنماً وبقراً وأعطى أبيمالك فقطعا كلاهما ميثاقاً. وأقام ابراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها. فقال ابيمالك لإبراهيم ما هذه السبع نعاج التي أقمتها وحدها. فقال إنك تأخذ من يدي سبع نعاج لكي تكون لي شهادة بأنـــي حفرت هذه البئر. لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع،"بئرشيفا" أي "النعاج السبع".**(تكوين٢١: ٢٢-٣١).

لن نسأل، بعد هذه الرواية، مَن مِنَ الرجلين يعرف الله قبل الآخر، وهل إله ابراهيم غير إيل، إله ابيمالك؟ فإن كان

غير ذلك فكيف قبل أبيمالك وهو صاحب الأرض الأقوى، بدليل أن عنده جيشاً وقائد جيشه، فيكول، معه، في حين أن إبراهيم ليس إلا بدوياً وعابراً يسعى وراء الماء والكلأ !، هل من المعقول أن صاحب الجيش والأرض يخاف من هذا البدوي فيلتمس منه الأمان له ولذرّيته؟

ثمّ كيف عرف ابيمالك صفات ابراهيم في الغدر ليتوجس منه؟ هل سبقت ابراهيم أخباره في الغدر حتى وصلت ابيمالك؟ وفي هذه الحال كيف يقبل باستضافته؟.

لا تهمّنا هذه الوقائع، ونترك للقارىء الفطِن لذّة اكتشاف صدق نوايا مؤسسي دولة أسرائيل منذ تملّكهم الأول لأرض فلسطين، وما جاء في سياق القصة التي وردت ليس إلاّ لتوضيح مسيرة التقديس للأماكن الاولى التي اخذت بالمخادعة والغش والاغتصاب. "**فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران. وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت وأخذ من حجارة ذلك المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان. ورأى حُلماً وإذا سلّم منصوبة على الارض ورأسها يَمسُّ السماء. وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها. وهوذا الربّ واقفٌ عليها، فقال أنا الربّ إله ابراهيم إله إسحق أبيك. الأرض التي انت مضطجع عليها أعطيها لك**

ولنسلك ويكون نسلك كتراب الارض وتمتدّ غرباً وشرقاً وجنوباً وشمالاً وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردّك إلى هذه الأرض لأنـــي لا أتركك حتى أفعل ما كلّمتك به. فاستيقظ من نومه وقال حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم. وخاف وقال ما أرهب هذا المكان. ما هذا الا بيت الله. وهذا باب السماء وبكّر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصبّ زيتاً على رأسه (رأس الحجر) ودعا ذلك المكان بيت إيل... وهذا الحجر الذي أقمته يكون بيت الله"(تكوين٢٨: ١٠-٢٢).

هذه القصة وردت في سفر التكوين بشكلين مختلفين مما يثبت تعدّد كتّاب التوراة. وأيّاً يكن الأمر، فإن المصريين القدامى والفرس كانوا يتصوّرون الآلهة والملائكة المرافقة لها، تصعد من الأرض إلى السماء، ومنها إلى الأرض، بواسطة سلالم. فالسلّم حاجة ضرورية لرفع العمران والمباني، كما هي الحال في بناء الأهرامات، و هي ايضاً حاجة عسكرية لتسلّق أسوار المدن. أما عند البدو الرّحّل فلا حاجة لهم للسلالم، لأنّ إقامة الخيم لا يحتاج لسلّم. أما العمران عندهم فهو كناية عمّا يعرف بِصيَرِ الماشية، أي الزرائب، التي لا يتعدّى ارتفاع أسوارها عن الأربعة صفوف من الحجارة التي يرفعونها بشكل

بدائي حول أماكن مبيت المواشي. بالإضافة إلى أنّ حمل السلم في رحلات الإنتقال وراء الماء والكلأ يشكّل عائقاً للمسافرين.

هذه الصور تؤكد أن موسى ليس هو من كتب التكوين أو غيره من الاسفار، وكاتبها هو مسبيّ عاش في بابل وشاهد عمرانها وعايش حضارتها واقتبس من معتقداتها الدينية فذكر فكرة السّلّم وترائي الله وملائكته صعوداً ونزولاً عليها. فلو كان في بابل، في ذلك الزمن، مصاعد كهربائية، كما اليوم، لكان كاتب التوراة قد ذكرها ووضعها بتصرف ذلك الإله وملائكته، وكفاهم عناء الصعود والنزول!.

اللقاء الثالث الذي جرى بين الإله إيل، ويعقوب كان الأحرى بالكاتب أن يجعله اللقاء الأول بدل أن يكون اللقاء الثالث، لأن التراتبية الزمنية تفرض أن يكون أول لقاء يتمّ بينهما فيتعرّف الإله إلى اسم يعقوب ويأبى أن يخبر يعقوب عن اسمه. **"ثم قام تلك الليلة وأخذ امرأته وجاريتيه وأولاده الأحد عشر (لأن بنيامين، صغير أولاده لم يكن قد ولد بعد)، وعبر مخاضة يُبوق. وأجازهم الوادي وأجاز من كان معه. فبقي يعقوب وحده. وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى (الإنسان) أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه (أي فخذ يعقوب). فانخلع فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال الإنسان أطلقني**

لأنه قد طلع الفجر. فقال له لا أطلقك حتى تباركني. فقال له ما أسمك. فقال يعقوب. فقال له: لا يدعى اسمك بعد اليوم يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأله يعقوب أخبرني ما اسمك فقال لا تسأل عن إسمي. وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل. قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيّت نفسي" (تكوين٣٢: ٢٢-٣٠).

يتبيّن مما ورد، أن ما جرى ليس إلا حلماً واهماً تراءى خلاله إيل ليعقوب بشكل انسان، افترضه يعقوب إلهاً، فتصارعا، وتغلب عليه فطرحه أرضاً مثبّتاً كتفيه كما في المصارعة الرومانية، فطلب الإستسلام. واعترافاً بالهزيمة كافأه بالمباركة. ةأصبح يعقوب بعد المعركة أعرج يخمع في مسيرته الكدودة نحن الأرض الموعودة.

من الملاحظ أن جميع الظهورات التي تراءى الإله فيها ليعقوب وابراهيم إنما هي إرهاصات أحلام وتخيّلات، بما في ذلك الصراع بين يعقوب ومن صارعه. فالبدوي يحلم دائماً بمهاجمة الذئاب لقطعانه، وبمهاجمة الغزاة له في مضاربه بغية السلب والنهب. فالإله الذي صارعه لم يكن أكثر من وهم ذئبٍ أو عدوٍ يحلم بالإنتصار عليه. أما خمع حقّ يعقوب، فهو ليس أكثر من إلتهابٍ للعصب الأنسي حدث له أثناء النوم، والذي

يحدث عادة دون سبب معروف يؤدي إلى حالة العرج والخمع، التي قد تدوم طويلاً.

من عجيب ما جاء في سياق هذه القصة، أن يعقوب لم يتعرّف على إسم مصارعه الذي رفض البوح له، ومع ذلك فإن يعقوب طلب منه مباركته فكيف عرف يعقوب أن من صارعه يقدر أن يباركه؟ ألم يكن الأجدر بذلك الإله المزعوم والمهزوم، أن يطلب مباركة يعقوب له؟ أليس لأن الآلهة هي دائماً الأقوى فيعبدها الناس؟.

بعد المصارعة هذه، توثّقت العلاقة بين يعقوب وإلهه الذي وعده بالأرض وبإكثار النسل وبالبقاء إلى جانبه إلى أن تتمّ الوعود التي وعده بها، والشاهد على ذلك عمود من حجر سُكب عليه الزيت، ليصبح ممسوحاً ومقدّساً إلى الأبد. ومع الزمن تحوّل الحجر الممسوح الى إنسان يختاره يهوه بعد تقمّصه إيل الكنعاني، فيصبح مسيحاً أبدياً يعمل لخلاص اسرائيل من مظالم بقية الأمم.

إن تقديس الأشياء بمختلف أنواعها هو شعيرة قديمة عند الكنعانيين والمصريين، كانت تتم بسكب الزيت أو الدهن المسيّل على قمّة الأشياء المتمثّلة برموزها، ومن ثم تُمسح هذه الأشياء فتصبح مُقدّسَة. وقد أخذ اليهود بهذه العادة من

المصريين أعداء الفرس، ويعقوب، حسبما يذكر سفر التكوين، لم تكن قدماه قد وصلتا إلى مصر ليتعرّف على عاداتها وطقوسها ومنها سكب الزيت على الأشياء لتقديسها. وإنما من كتب سفر التكوين هو من كان يعرف بممارسة الشعوب التي عرفها، لتلك العادات فأوردها في رواياته. وها هو موسى في سفر الخروج يُقَوّل: "**وكلّم الله موسى قائلاً: وأنت تأخذ لك افخر الأطياب. مرّاً قاطراً زنة خمسماية شامل، وقرفة عطرة نصف ذلك، وقصب الذريرة مائتين وخمسين شاقلاً، وسليخة خمسماية، بشاقل القدس ومن زيت الزيتون هيّنا، وتصنعه دهنا مقدّساً للمسحة. عطر عطارة، صنعة العطّار. دهناً للمسحة يكون**". (خروج٣٠: ٢٢-٢٥).

من نصّ هذه الكلمات، التي يدّعي، مقدّسو التوراة، أن موسى قد كتبها، يظهر الغشّ المقدّس، فشاقل القدس لم يكن معلوماً في زمن موسى. كما ان القدس لم تكن معروفة بهذا الاسم ولم تكن مهوّدة، إذ أنها كانت مدينة يبّوسية كنعانيّة إسمها ساليم. كما أن موسى لم يستنبط العملة لليهود، إذ أنهم كانوا يتعاملون بالعملات المتداولة في البلدان التي يمرّون بها أثناء ترحالهم. مع العلم أن أول من استعمل العملة هم الليديون،

الذين لم يكن موسى يعرف عنهم شيئاً ولم يسمع بهم على الإطلاق.

بتتابع السرد التوراتي للأمر الإلهي بالمسح يقول موسى على لسان يهوه: "**وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل آنيتها، والمنارة وآنيتها، ومذبح البخور ومذبح المحرقة، وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها، قُدسُ أقداس. كل من مسّها يكون مقدّساً. وتمسح هارون وبنيه وتقدّسهم بمسحك إياهم ليكهّنوا لي**"(خروج٣٠: ٢٦-٣٠).

في توجيهات يهوه لموسى الخاصّة بطقوس العبادة، تظهر الطقوس الوثنيّة المصريّة والفارسيّة والكنعانية بشكل فاضح. فالمحرقة التي كانت تقدّم فيها الأضاحي البشرية، وفيما بعد، الحيوانيّة للإله الوثني، لا تزال في أساس الطقوس الدينيّة للشعب اليهودي ولكن لإلهٍ، بإسم جديد. والمرحضة المعدّة للإغتسال والوضوء والتطهّر قبل الصلاة وأثناء إقامة الطقس كانت موجودة في بلاد ما بين النهرين عند الزرادشتيين حيث أمضى عزرا ونحميا وحزقيال وأرميا ودانيال وأشعيا وغيرهم فترة سبيهم. ولا يغفل عن البال أن الشمعدان السباعي اللهب المعروف بالمينورا، ما هو إلا تجسيد لعبادة إله النار المأخوذ عن الزرادشتية والتي لا يزال المسيحيون يمارسونها في

كنائسهم أثناء أداء الطقوس بإشعال الشموع والإضاءات والبخور، كما نرى شمساً ذهبية مشعّة تتوسّط الصليب. على أساس أن منه إنطلق نور العالم.

لا يكتفي يهوه بالتوجّه إلى موسى بل يطلب منه ان يتوجّه إلى شعبه نيابة عنه. "**وتكلّم بني إسرائيل قائلاً: يكون هذا لي دهناً مقدّساً للمسحة في أجيالكم. على جسد إنسانٍ عادي لا يسكب. وعلى مقاديره لا تصنعوا مثله.مقدّسٌ هو ويكون مقدّساً عندكم. كلّ من ركّب مثله ومن جعل منه على أجنبي يقطع من شعبه**"(خروج٣٠: ٣١-٣٢).

"**اخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه وقدّسه. ووضع منه على المذبح سبع مرّات. ومسح المذبح وجميع آنيته... ثمّ قدّم بني هارون وألبسهم أقمصة ونطّقهم بمناطق وشدّ لهم قلانس كما أمر يهوه... ثمّ قدّم ثور الخطّية فذبحه وأخذ من الدم وجعله على قرون لمذبح مستديراً بإصبعه، وطهّر المذبح ثمّ صبّ الدم إلى أسفل المذبح وقدّسه تكفيراً عنه...ثمّ قدّم الكبش الثاني كبش الملء، فوضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش. فذبحه موسى وأخذ من دمه وجعل على شحمة أذن هارون اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى. ثم قدم موسى بني هارون وجعل**

من الدّم على آذانهم اليمنى، وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى..." (لاويين٨: ١٠-٢٣).

لا يوجد في سفري اللاويين والخروج أية إشارة أو دلالة على أنّ موسى قد مُسِح من قِبل يهوه، أو من قبل أي لاويّ. فالمسحة تكون لمن يعمل لخلاص إسرائيل من مظالم بقية الأمم، وبذلك فإن موسى ليس من جماعة المسحاء ولأجل هذا قال له يهوه يوم مماته: "**وقال له الرب هذه الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها. قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر**". (تثنية٣٤: ٤).

عادة المسح للتقديس أو للتثبيت التي أوصى بها الإله التوراتي موسى إنتقلت إلى المسيحية مع تعديل طفيف عليها، إذ أُبدِل الدم بالميرون. فأثناء الإحتفال بتعميد أحد الأولاد يغمس الكاهن إبهام يده اليمنى بالميرون، المصنوع بنفس مواصفات دهن المسحة بأدق معاييرها وأسماء مكوّناتها المذكورة في سفري اللاويين والخروج، ويعمد إلى مسح منافذ الحواس اليمنى للولد المعمّد والى مسح إبهام يده اليمنى وإبهام رجله اليمنى. أما إذا كان أهل الولد من غير المسيحيين الراغبين بتعميد ولدهم، بناء لنذر أقاموه، فإن الكاهن يعمّد الولد بالماء فقط دون أن يضع له الميرون على جزء من جسده تنفيذاً

للوصيّة التوراتية: "**كلّ من ركّب مثله ومن جعل منه على أجنبي يقطع من شعبه**". (خروج٣٠: ٣٢).

على زمن يعقوب لم تكن وصفة المسح أمراً إلهياً أو تركيبة يمنع تقليدها أو العبث بمقاديرها وإنما كانت بدائية، تتكون من سمون الأغنام والأبقار وشحومها، أو من زيت الزيتون، إضافة إلى أنه لم يكن قد وطأ أرض مصر ليتعرّف إلى أسرار كهنتها المهرة في تحضير العطور ومواد التحنيط. كل ما يعرفه من طقوس العبادة اخذه بالتوارث عن جدّه إبراهيم وعمّا هو شائع في البلاد التي يمرّ بها. فراحيل زوجته أثناء هربها مع زوجها وعشيرته بالإضافة إلى اختها، ضرتها، ليئة، سرقت تماثيل آلهة والدها لابان وترافيمه وأخفتها في حدّاجة جملها وجلست عليها. واثناء مطاردة والدها لصهره يعقوب، بحثاً عن مسروقاته، طلب منها والدها النزول عن الجمل لتفتيشها، فرفضت القيام والنـــزول مدّعيّة أنها لا تستطيع لأن عليها عادة النساء. فهل سرقت راحيل هذه التماثيل والترافيم لأجل قيمتها الصنعية أم لأنها تحتاجها في ممارسة طقوس العبادة لرموز هذه التماثيل والترافيم؟!..

وهل تمّت هذه السرقة بمعرفة زوجها يعقوب؟

فلو لم يكن يعقوب شريكاً في التَعبّد لما ترمز إليه هذه التماثيل، فكيف يقبل أن تصحبها معها وهو مؤمن بالإله الذي لا يقبل أن تكون هناك آلهة أخرى أمامه؟.

المُسحاء

*

"إن الدين هو أخطر سلاح يستعمله الانسان ضد أخيه الإنسان"
جون بونيون-(١٦٢٨- ١٦٨٨)
من كتاب رحلة الحجاج"

*

لا بدّ، قبل الغوص في تفصيل سيرة المسحاء الذين انتدبوا أنفسهم لخلاص إسرائيل، من الإشارة إلى أن ابراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى ويشوع لم يُمسحوا لخلاص إسرائيل من قبل أي إله، إنما انتدبوا أنفسهم لذلك بناء لإرهاصات حُلمية وظهورات تخيّلية لإله لم يكن إلاّ صورة للإله الوحش الذي يفترس مخلوقاته، إنسانية كانت أو غيرها. فلذّة أكل الشواء الإنساني، واحدة عند هؤلاء، كذلك لذة الاستمتاع بصراخ الأضاحي البشّرية. لكن يهوه التوراتي يتفوّق على جميع آلهة العصور القديمة، كونه ابتدع طريقة جديدة في زيادة مآسي الشعوب، إذ كان يعلّم شعبه الخاص سلب ونهب الشعوب المضيفة واغتصاب بكورها والتسّري بهن، وقتل كل بائل لها في حائط، وزرع أرضها بالملح أو إتلافها بالحجارة

وطردها من أرضها لتهيم كالسوام على وجه الأرض. هؤلاء القادة الذين انتدبهم إلههم ليثبت أقدام قبائلهم على أرض الغير بعد طرد سكانها أو إبادتهم بناء لوعد أقاموه، إرهاصاً مع إلههم، وشاهدهم على ذلك حجرٌ منتصبٌ نحو السماء، ليس إلاّ.

أمّا من أتى بعدهم، فقد كرسهّم كهنتهم اللاويون كمسحاء بناء لمزاعم إدعوا قدسيّتها، لذلك تفوقوا على سابقيهم في جرائم قتل الشعوب وطردها من أرضها. فتوالى الزنى في سلالاتهم، وجحود شعوبهم الدائم لإله يقاتل عنهم ليرسّخ أقدامهم في أرض الغير، مقابل مواثيق هبائية يطلبها منهم للتأكد من ولائهم له، ثم بعد حين يتناسون ما وعدوا به ويطمّون حجارة الوعد التي رفعوها لأجله ويعودون إلى نكرانه، وإلى إشعال نار الذبائح لآلهة تحت الطلب يحفظونها في حداجة أحد جمالهم، أو في خرج أحد حميرهم، معاقبة للإله الذي علّمهم السرقة والنهب والقتل والتهجير والعنصرية. فهو يستحق أكثر من ذلك، لأنه علّمهم أموراً لا أخلاقية لم تكن تعرفها آلهتهم القديمة، لذلك كانوا يتذكّرون قيمها ومثلها، فيعودون إليها بين الحين والآخر نكاية بإلههم الشرير.

عندما توطّدت أقدام سلالات إبراهيم وإسحق ويعقوب ومن تبعهم، من شرّيدي مصر على الأرض الكنعانية، تمنّوا،

تشبهاً بحضارات الشعوب المحيطة بهم والتي عاشوا في ضيافتها، أو تلك التي سبتهم، أن يكون لهم ملوك تسكن في بيوت حجريّة. فرفعوا بصوتهم إلى إلههم الذي سرعان ما تراءى لزوجة ألقانة بن يروحام، وهي عاقر، ووعدها بطفل يكون أهمّ قضاة إسرائيل. أما هي، واعترافاً بالجميل، وتأكيداً للوعد فقد نذرت طفلها العتيد لخدمة الرب طول حياته. فأنجبت صموئيل أول قضاة إسرائيل المخوّل بالسلطة الإلهية لمسح من يأمره يهوه ليكون ملكاً، مسيحاً، مُخلّصاً.

في عهد صموئيل، هزم الفلسطينيون الشعب اليهودي واستولوا على تابوت العهد الذي بقي عندهم، في عاصمتهم أشدود لمدة سبعة أشهر فارتفع صراخ الشعب اليهودي، وتذكر إلهه، فأقام مذبحاً في الرامة، قرب بيت صموئيل، تندّماً على نكرانهم له، وطلباً لعودة صفحٍ إلى أحضان أبوّته، وجاء شيوخهم إلى بيت صموئيل وقالوا له: "**أعطنا ملكاً. وصلّى صموئيل للرب. فقال الرب لصموئيل إسمع لصوت الشعب في كل ما يقولونه لك. لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم. حسب كل أعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم وتركونـــي وعبدوا آلهة أخرى. هكذا هم عاملون بك أيضاً**"(صموئيل الأول٨: ١-٨).

هذه الكلمات التي أسرّها يهوه لصموئيل توجز المسيرة الأخلاقية والإيمانية للشعب اليهودي، كما تلخّص ضعف ذلك الإله وغباءه وتحيّزه المطلق لهذا الشعب العقوق الجاحد والخائن. ومع ذلك فقد عاد ذلك الإله ليكشف أُذن صموئيل قائلاً:"**غداً في مثل الآن، أرسل إليك رجلاً من بنيامين. فأمسحه رئيساً لشعبي إسرائيل فتخلّص شعبي من يد الفلسطينيين. لأنـــي نظرت إلى صراخهم قد جاء إليّ**" (صموئيل الأول ٩: ١٥-١٦).

بعد مأدبة غداء، في شيلوه، المسماة مرتفعة الأنبياء، أصعد صموئيل شاول، الذي أشار إليه يهوه، إلى سطح المرتفعة ومسحه:"**فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصبّ على رأسه، وقبّله وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً**" (صموئيل الأول ١٠: ١).

بعد عملية المسح طلب صموئيل من ممسوحه شاول الذهاب إلى مدينة جبعة الفلسطينية ليتعلّم أصول التنبوء وشروط المسح:"**بعد ذلك تأتي إلى جبعة... حيث تصادف زمرة من الأنبياء... فيحلّ عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر.**" (صموئيل الأول ١٠: ٥-٨). "**ولما جاءوا إلى جبعة إذا زمرة من الأنبياء لقيته، فحلّ عليه روح الله فتنبأ في**

وسطهم. ولما رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ مع الأنبياء قالوا ما صار لإبن قيس. أشاول أيضاً بين الأنبياء. ولذلك ذهب مثلاً أشاولّ أيضاً بين الأنبياء" (صموئيل الأول ١٠: ١٠-١٢). عندما تيقّن صموئيل بأن شاول بدأ بالتنبؤ، أسرَّ له بسرّ المسح الإلهي:"**إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل. والآن فاسمع صوت كلام الرب... فالآن إذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ما له ولا تعف عنهم بل أقتل رجلاً وإمرأة، طفلاً ورضيعاً. بقراً وغنماً. جملاً وحماراً** (صموئيل الأول ١٥: ١-٣).

سرّ المسح هذا كان قبل شاول لإيليا التشبّي من مستوطنة جلعاد، المعروف عند المسيحيين بمار الياس الذي بعد اتمامه لمجزرة قتل أربعماية وخمسين من أنبياء البعل، فصبغ بدمائهم نهر قيشون:"**فقال لهم ايليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل، فامسكوهم، فنـــزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك"** (ملوك الأول ١٨: ٤٠). بعد الإنتهاء من المجزرة قال له الرب: "**إذهب راجعاً في طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكاً على أرام وامسح ياهو بن نمشي ملكاً على إسرائيل، وامسح أليشع ابن شافاط، من آبل محولة، نبيّاً عوضاً عنك. فالذي ينجو من سيف حزائيل يقتله**

ياهو، والذي ينجو من سيف ياهو يقتله أليشع" (الملوك الأول ١٩: ١٥-١٧)

وكان كلام الرب لأليشع بعد ذهاب سيّده إيليا:**"لأنه هكذا قال الرب. لا ترون ريحاً ولا ترون مطراً وهذا الوادي يمتلىء ماء فتشربون أنتم وماشيتكم وبهائمكم. وذلك يسير في عينيّ الرب فيدفع موآب إلى أيديكم. فتضربون كل مدينة محصنّة وكل مدينة مختارة فتقطعون كل شجرةٍ طيّبة، وتطمّون جميع عيون المياه وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة"** (الملوك الثاني ٣: ١٧-١٩)

بعد أن أوقع يهوه بالمؤابيين نفذّ اليهود وصيّته:**"وهدموا المدن وكان كل واحد يُلقي حجره في كل حقلة جيدة حتى ملأوها، وطمّوا جميع عيون الماء وقطعوا كل شجرة طيبة".** (الملوك الثاني ٢٥:٣).

لم يتسن لإيليا التشبّي تنفيذ وصية يهوه بمسح ياهو بن نمشي، لأن الرب أصعده إليه بمركبة نارية تاركاً معطفه لربيبه أليشع الذي قام بتنفيذ مسح ياهو بن نمشي: **"ودعا اليشع النبي واحداً من بني الأنبياء وقال له شدّ حقويك وخذ قنينة الدهن هذه بيدك واذهب إلى راموث جلعاد وإذا وصلت هناك فانظر هناك ياهو بن يهوشافاط بن نمشي وادخل وأقمه من وسط**

أخوته وادخل به من مخدع: داخل مخدع، ثم خذ قنينة الدهن وصبّ على رأسه وقل هكذا قال الرب قد مسحك ملكاً على إسرائيل" (الملوك الثاني ٩: ١-٣).

انطلق غلام النبي إلى راموت جلعاد والتقى بياهو فصبّ الدهن على رأسه وقال له: هكذا قال الرب إله إسرائيل قد مسحك ملكاً على شعب الرب إسرائيل".

بعد إتمام عملية المسح، أسرّ الماسح لممسوحه بسرّ المسحة:"**فتضرب بيت أخاب سيدك فيبيد كل بيت أخاب واستأصل لآخاب كل بائل بحائط ومحجوز ومطلق في إسرائيل. واجعل بيت آخاب كبيت يربعام بن نباط وكبيت بعشا بن أخيّا. وتأكل الكلاب إيزابيل في حقل يزرعيل وليس من يدفنها"** (الملوك الثاني ٩: ١-١٠).

بعد عملية المسح، قام ياهو فأتمّ وصية يهوه فقضى على يربعام بن نباط، وقتل سيّده آخاب وانداحت ايزابيل زوجة آخاب على الأرض مذبوحة فأكلتها الكلاب ولم يدفنها أحد. بعد ثمان وعشرين سنة، قضاها في القتل والتدمير والسلب والنهب والإبادة مات ياهو متمماً واجباته الدينّية التي لأجلها مُسِحَ ملكاً على إسرائيل.

بتقديس الإنسان للأشياء، تصبح هذه الأشياء، مع مرور الزمن، مُقدّسة بذاتها ويصبح تقليد تكريمها واقعاً يتحوّل بدوره إلى ما يشبه الحقيقة.

لدى سقوط سلطة الكهنة المقدّسين بالمسح والمعروفين بالقضاة عند اليهود، وآخرهم كان صموئيل الذي أمر بمسح شاول، على غير قناعة منه به، لأنه ليس من سبط اللاويين المكرّسين لخدمة يهوه:"**أليس إذ كنت صغيراً في عينيك صرت رأس أسباط إسرائيل ومسحك الرب ملكاً على إسرائيل وأرسلك الرب في طريق وقال إذهب وحرّم الخطاة عماليق وحاربهم حتى يفنوا**" (صموئيل الأول ١٥: ١٧).

شروط المسح بإسم يهوه، هي مقاتلة الشعوب المحيطة بإسرائيل حتى يفنوا. فالمسيح، أو الممسوح بناء لمشورة يهوه، هو مخلّص إسرائيل، وليس غيرها حتماً، من مظالم بقية الأمم. فبعد فشل شاول في قتال العماليق وإفنائهم، غضب عليه الرب وندم على مسحه ملكاً على إسرائيل:"**تدمت على أنّي مسحت شاول ملكاً**". ثم قال لصموئيل: "**إملأ قرنك دهناً وتعال أرسلك إلى بيت يسىّ البيتلحمي لأني رأيت لي في بنيه ملكاً، وامسح الذي أقول لك عنه**" (صموئيل ١٦: ١-٤).

نعم!... هكذا هي قرارات إلهٍ، اسمه يهوه! يختار ثم يغضب فيندم!.

أوليس الغضب من علامات الضعف والعجز أمام أمرٍ أومسألة صعُبَ حلُّها أو استحال؟...

أيجوز أن يُتهّم خالق الأكوان الكلّي القدرة بالغضب؟ هل غير الآلهة المصنوعة على مقياس الإنسان، هي من تغضب؟ والندم، أوليس بسبب إرتكاب الخطأ؟!...

هل يجوز لخالق الأكوان الكلّي المعرفة، أن يخطىء ثم يندم على خطئه؟!...

هذا الإقرار الدائم بالخطأ والندم واستدراك الأمر، أليس ذلك من الصفات البشرية؟. أليس يهوه مثل أي مولودٍ أو مُولّدٍ خطوء بالطبع الأول؟. أما الخالق بذاته فليس بمولود ولا بمخلوق. والآلهة الوثنية، ومن بينها يهوه، أولدها الإنسان من مخيّلته لفرضيته بقوتها، تعويضاً عن عجزه. فهي صورة للإنسان المتفوّق الذي أراد أن يكون من خلال ابتداعها. وخاب أمل الإنسان فيها كلها، وعلى مدى التاريخ، إلى أن توصّل إلى الإيمان بالإله الواحد الأحد، ماليء الأكوان وفائض عنها، الذي أوجدها بإرادته الحرة، الكاملة والدائمة وأدامها بقوانين لا تتغير لأنها صادرة عن إرادة دائمة بذاتها فلا يطرأ عليها تغيير ولا

تبديل ولا تعديل. أمّا قرارات يهوه التي كان يرتّبها وأمثاله، فهي قرارات مؤقتة، وخاطئة، لذلك كان يغضب ويندم ويصحح على عادته في الغضب والندم والخطأ وبشكل دائم منذ ابتداع اليهود له وحتى اليوم.

بعد قرار يهوه الجديد بعزل شاول، خضع صموئيل للأمر أليهوي (نسبة الى يهوه) "**فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسح داود في وسط إخوته فحلّ روح يهوه على داود من ذلك اليوم فصاعداً**" (صموئيل ١٦: ١٢)

لسنا بمعرض الكلام عن أخطاء روح يهوه الحالّة على داود بعد مسحه والتي بوحيها ارتكب مسيحه داود، جرائمه ومخازيه مع الشعوب المجاورة له، والتي، استضافته على أرضها وآوته أحياناً من أعدائه، كما حصل له حين التجائه إلى الفلسطينيين خوفاً من حميّه شاول والد زوجتيه ميرب وميكال، الذي عمد إلى فصل ابنته ميكال عن زوجها داود وزوّجها لفلطي بن لايش أحد قواد جيشه، فاحتدم الخلاف بين الملكين الممسوحين. "**وهرب داود مع زوجتيه_أبيجال وأخنوعم والتجأ إلى أخيش ملك جت الفلسطيني وبقي عنده سنة وأربعة أشهر. (صموئيل الأول ٢٧). كان خلالها يقضي وقته بالإغارة على الجشوريين وعمالقة من شور إلى أرض مصر. وكان**

يضرب الأرض ولم يستبق رجلاً ولا إمرأة". (صموئيل الأول ٢٧: ٩)

كما إننا لن نستعرض سيرته الأخلاقية وزناه مع إمرأة قائده العسكري يوريا الحثي، فقد فقتله للتفرد بإمرأته بتشبع التي كان له منها سليمان.

ولن نتناول موبقات أولاده وأحفادهم ومن بينهم سليمان وأبيشالوم وأدونيا وغيرهم! ولكننا نسأل أكلّ هذا كان يتمّ بوحي من روح يهوه يا ترى وبمعرفته؟ أم بروح شيطانية، شريرةٍ، خبيثة إدّعت إسرائيل قدسيتها فألهّتها؟!...

ثم كيف ينسى يهوه وصيته:**"لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر"** (تثنية ٢٣: ٢).

هل نسي يهوه، أن يسيّ، والد داود، هو ابن عوبيد الذي ولدته أمّه راعوثْ، أرملة محلّون بن أليمالك، من بوعز صاحب الحقل الذي كانت تجمع فيه سنابل الحقل مع حماتها نعمى التي شجّعتها على مضاجعة بوعز! **"وقالت لها نعمى، حماتها، ألا ألتمس لكِ راحةً ليكون لك خيرٌ. أليس بوعز ذا قرابة لنا. ها هو يذرّي بيدر الشعير الليلة. فاغتسلي وتدهّني والبسي ثيابك وانزلي إلى البيدر... ومتى اضطجع فاعلمي**

المكان الذي يضطجع فيه وادخلي واكشفي ناحية رجليه واضطجعي معه. فقالت لها كل ما قلت اصنع" (راعوت ٣).

فكان من ذلك الإضطجاع عوبيد والديسىّ أبي داود مسيح الرب، الذي من نسله يأتي المسيح المنتظر. لا وجوب للتذكير بأن بوعز هو ابن زنى أيضاً، فهو ابن سلمون من راحاب زانية أريحا. كما أن سليمان بن داود، حكيم الزمان، هو ابن زنى داود مع بتشبع، إمرأة أوريا الحثّي!...

بالتسلسل الزمني لأجيال الزنى التوراتي، فإن يهوذا بن يعقوب وُلد له توأمان، فارص وزارح، بمسافحة كنته ثامار، أرملة ولديه عير، فأونان. ورواية الزنى هذه مروّية بالتفصيل في سفر التكوين الإصحاح ٣٨!...

أجيال تتابع وتتوالى في الزنى ومع ذلك، لا ضير ان أتى منها مخلّص لشعب اسرائيل من مظالم بقية الأمم. أما أن تتبنى المسيحية الإدعاء التوراتي بمجيء المسيح الكوني من نسل داود فهذا ما يدعو للتساؤل والعجب!... فهل هذه المسيحية هي امتداد لليهودية يجعلها يسوع، هادي البشرية إلى المحبة والتسامح والفضيلة والسلام والهداية للعالمين، ابن زرع بشريّ، فأنكرت أنه كلمة الله أرسلها إلى مريم؟ وهذا الأمر انكار لقداسة ما جاء في القرآن عن مولد يسوع ابن مريم: **"واذكر في**

الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويّا. قالت اني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّاً. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيّاً. قالت أنـــى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولم أك بغيّاً. قال كذلك قال ربُّك هو عليّ هينّ ولنجعلهُ آية للناس ورحمةً منّا وكان أمراً مقضيّاً. فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّاً. (سورة مريم ١: ١٥- ٢١).

كذلك ما جاء في سورة آل عمران:"**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرّك واصطفاك على نساء العالمين... إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرّك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين**" (آل عمران ٤١، ٤٤).

كما إن الإدعاء بأنه من نسل داود يأتي المسيح المنتظر، فيه إنكار للحبل الإلهي وبلا دنس وإنكار لما جاء في إنجيل متى:

"**أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجدت حبلى من الروح القدس... ولكن فيما هو مفتكرٌ في هذه الأمور، إذاً ملاك الرب قد ظهر له في حلمه قائلاً يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ**

امرأتك لأن الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس" (متى ١: ٦).

لا بدّ، قبل متابعة البحث في سيرة بقية المسحاء في تاريخ اسرائيل من الإشارة إلى أن داود كان قد تزوج بالكثير من النساء وأولاهن ميرب ابنة شاول ثم عاد فتزوج من أختها ميكال التي استرجعها والدها منه وزوّجها لفلطي بن لايش، ثم تزوج اخينوعم اليزرعيلية فولدت له بكره أمنون، ثم أرفقها بتشابع أو بتشبع، زوجة قائده أوريا الحثي، فأنجبت له سليمان. ثم تزوج أبيجايل أرملة نابال الكرملي فولدت له كيلاب. ومن زوجته مقلة بنت تلماي أنجب ولده أبيشالوم. ومن حجيت أنجب أدونيا، ومن أبيطال ولده شفطيا، وآخرهن عجلة التي ولدت له يثرعام.

لم يهنأ المُلك كثيراً لداود، لأن شاول غار منه، على الرغم من أنه صهره، وسعى لقتله بعد عودته المنتصرة من معركته مع جوليات الفلسطيني والتي انتهت بمقتل جوليات بضربة مقلاع من داود، فاستقبلته فتيات اسرائيل بالزغاريد، مما زاد في غيرة شاول منه"**ومن حينها بدأ شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعداً**" (صموئيل الأول ١٨: ٦-٩).

أما داود فكان يتجنّب المواجهة مع والد زوجتيه "ميرب وميكال" ويفرّ من أمامه من مكان إلى مكان. وفي مغارة عين جدي، التي التجأ اليها شاول للمبيت فيها هرباً من الفلسطينيين، كان باستطاعة داود قتله، أثناء نومه، لكنه رغم إصرار قواده ونصيحتهم له بقتل غريمه والتخلص منه لكنه أبى قائلاً: "**حاشى لي من قبل الرب ان اعمل هذا الأمر بسيدي، بمسيح الرب فأمدّ يدي إليه لأنه مسيح الرب هو**". (صموئيل الأول ٢٤:٦).

بعد حين، هُزم شاول أمام الفلسطينيين، فطاردوه للقبض عليه، ففضل الموت على الاستسلام لهم، فانتحر مسقطاً جسده على سيفه. فاتى أحد لصوص المعارك فسلبه الإكليل الذي على راسه، والسوار الذي على ذراعه وأتى بهما إلى داود يبشّره بقتله لعدوه شاول، طمعاً بمكافأة منه. فأمر داود غلامه بقتله قائلاً له: " **دمك على رأسك، لأن فمك شهد عليك قائلاً أنا قتلت مسيح الرب**" (صموئيل الثاني ١:١٦).

بعد خَمْسٍ وثلاثين سنة (١٠١٠ق.م – ٩٧٥ ق.م) أمضاها داود في تثبيت ملكه وفي محاربة من حوله حتى انّ يهوه كره كثرة الدم المسفوك على يديه: "**ولكن الله قال لي لا**

تبن بيتاً لإسمي لأنك أنت رجل حروب وقد سفكت دماً" (الملوك الأول ٣:٢٨)

وعندما أحس بدنو أجله طلب أن يُمسح ابنه سليمان ملكاً، بدلاً من بكره أمنون، وذلك نزولاً عند رغبة بتشابع والدة سليمان فقال لرجاله: "**اركبوا ابني سليمان على البغلة التي لي، وانزلوا إلى جيحون ليمسحه هناك صادوق الكاهن، وناثان النبي، ملكاً على إسرائيل... فأخذ صادوق الكاهن قرن المسحة من الخيمة ومسح سليمان**".(الملوك الأول١: ٣٢-٩/ ٣٢-٣٩)

مات داود واضطجع مع آبائه في مدينة بيت لحم، ولكن نبوءة ولده ناثان النبي الذي نقلها عن لسان الرب، الذي ظهر له، إلى والده داود قبل موته، ما زالت تتفاعل منذ ثلاثة آلاف سنة في أوساط المسيحيين على اعتقادهم بأنه من نسل داود يأتي المسيح المنتظر... "**ومتى كمُلت أيامك واضطجعت مع آبائك، أُقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته. هو يبني بيتاً لإسمي وأنا أثبت مملكته إلى الأبد. أنا أكون له اباً وهو يكون لي إبناً...**" (صموئيل الثاني ٧: ١٢-٤).

يسوع الناصري، يا سادة التوراة، الذي يعرفه أتباعه الخلّص وأتقياء المسلمين والبررة من بقية العوالم، ليس من صلب داود ولن يكون من صلب أي انسان، لأنه من روح الله وكلمته إلى أمه مريم ليكون مُقيماً للحق، ناشراً للعدل والسلام، داعياً للمحبة. هو مثالية جميع العظماء والصالحين الذين سبقوه أو الذين أتوا بعده، وليس على الاطلاق، كما تريدونه ملكاً يثبت مملكته ويكون بحجم شهواتكم. هو محبة كونية لجميع البشر على السواء لأن مملكته ليست من هذا العالم، عالمكم... عالمه،، عالم المحبة والتسامح والعطاء والسلام... وهذه كلها ليست في تعاليم توراتكم التي اقمتموها ولا زلتُمْ.!...

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

سليمان، حقيقةٌ أم وهمٌ؟

*

"إنّ الحقيقة غريبةٌ ، بل وأكثر غرابةً من الوهم"

*

سليمان بن داود الذي تمجّده التوراة وتعتبره حكيم حكماء كل العصور فنقلت عنه روايات وأساطير تفوق الخيال، لا وجود لوثائق تاريخية، تثبت وجود ملك اسمه سليمان، وبالتالي لا وجود لمملكته الخيالية، إلاّ تلك التي أُخذت عما جاء في التوراة، أو تلك التي روّج لها التوراتيون. وما الادعاء بوجود هيكل ضخم الا مبالغات خيال من يشتهي أن يكون له حضارة كالتي كان يراها في المنفى، وأن يكون له هيكل كالذي في أرض الحضارات، وكل الادعاءات لتجارة سليمان وبذخه اليومي ووفرة غناه الأسطوري، إنما هي من ضروب الخيال الفولكلوري الخرافي "**وكان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كُر سميد وستين كُر طحين، وعشرة ثيران مسمنة، وعشرين ثوراً من المراعي ومئة خروف، ما عدا الايائل والظباء واليحامير والأوز المسمّن.**" (**الملوك الأول: ٢٢ - ٢٣**). اي ما مجموعه السنوي ثلاثة الآف وستماية وخمسون ثوراً مسمّناً،

وسبعة آلاف ثور مراعيَ، وستة وثلاثون ألف وخمسماية خروف عدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمن. ومن مراجعة جميع مراجع المعاجم لمعرفة قدر الكر، فلم نوفق على تقييم له بحسب الاوزان والمكاييل المتّبعة اليوم.

من المتفق عليه ان سليمان تسلم الملك بعد وفاة والده داود سنة ٩٧٣ قبل الميلاد، وتوفي سنة ٩٣٠ قبل الميلاد. فيكون قد استهلك خلال مدة الأربعين سنة التي قضاها في الملك؛ حوالي مليون واربعماية وستين ألف خروف وستماية وثلاثة وأربعين ألف ثور عدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمّن...

هذه الأرقام الخيالية للحيوانات المستهلكة في قصر سليمان، المزعوم، هل كانت من مراعي مملكته؟ وهل كل شعبه يكفي لرعيها والاهتمام بها؟ وهل كل الأرض الفلسطينية كانت زرائب لها؟.

المغالاة في وصف غنى وقوة، وعدل وحكمة وإيمان وسليمان تثير التساؤلات والعجب بعد قراءة التوراة: " **وجمع سليمان مركبات وفرساناً فكان له ألف وأربعماية مركبة واثنا عشر ألف فارس**". (الملوك الثاني ١-١٤) "**وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته.** (الملوك الاول ٤:٦) " **أحّب**

الملك سليمان نساء غربية كثيرة مع بنت فرعون موآبيّات وعمونيات وأدوميات، وصيدونيّات وحثيّات. من الأمم التي قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتهم... فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة...وكان له سبعماية من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري، فأملن قلبه... فذهب سليمان وراء عشروت آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين.. بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولوك "مولوخ"رجس بني عمون...هكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنّ يُوقدن ويذبحن لآلهتهن" (الملوك الأول ١١:١-٨).

هذا الملك، الحكيم، مسيح الرب، هل أطاع الرب فكان مؤمناً بيهواه الذي اختاره ليكون مسيحه ومخلص اسرائيل حين كلّم والده داود عنه قبل وفاته "**قال لي إن سليمان ابنك هو يبني لي بيتي وديباري لأني اخترته لي إبنا وأنا أكون له أباً وأُثبت مملكته إلى الأبد إذا تشدّد للعمل بوصاياي واحكامي لهذا اليوم**" (الملوك الأول ٢٨-٦).

هل ما جاء فيما ورد من الآيات يثبت أن سليمان قد عمل بوصايا وأحكام يهوه؟!.

ألم يراجع هذا اليهوه أعمال سليمان؟

لم يقيّم مدى التزامه بإيمان أجداده ؟

كيف يقبل بتبنّيه، وكيف يقبل بأبوته له؟

وهل لا يزال على وعده بإثبات مملكته إلى الأبد بعدما تركه وذهب وراء عشتروت، وملكوم، وكموش ومولوك؟

ثم اين العدل في حكم سليمان وها جموع الشعب لدى اجتماعها في شكيم تقول لإبنه رحبعام الذي تولّى الحكم بعده دون أن يمسحه اي لاوي: "**إن أباك قسّى نيرنا وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك**" **(الملوك الأول ١٢:٤)**.

أما الحديث عن تجارة سليمان في ترشيش وأوفير فلم تثبت الاكتشافات وجود مملكة أوفير ولم تظهر حتى الآن أي وثيقة أو مخطوطة تبيّن أي ارتباط تجاري مع هذه المملكة. كما أن الزعم بأن ملكة سبأ قد أتت بهدايا إليه للتقرّب منه، ليس إلا زعماً، لأن مملكة سبأ لم تكن موجودة في القرن التاسع والعاشر قبل الميلاد. هذا بالاضافة إلى أن ما جاء في سفر الملوك الثالث ينفي عظمة سليمان التجارية والسياسية والمالية، اذ جاء انه كان عاجزاً من إيفاء ديونه لأحيرام الملك الفينيقي. "**وكان بعد عشرين سنة من بناء سليمان بيت الرب ولبيته**

(الذي بدأ حيرام ببنائه سنة ٩٦٩ قبل الميلاد وأنهاه سنة ٩٦٢ قبل الميلاد) بما أن أحيرام ملك صور كان قد أمدّ سليمان بخشب ارز وسرو وذهب على حسب كل مرضاته. ان الملك سليمان أعطى لأحيرام عشرين مدينة في ارض الجليل. فخرج أحيرام من صور لينظر إلى المدن التي اعطاها له سليمان. فلم تُحسن في عينيه. فقال له ما هذه المدن التي أعطيتني يا أخي؟ وسمّاها أرض كابول إلى اليوم. وكان الذهب الذي أرسله أحيرام إلى الملك مئة وعشرين قنطاراً. وهكذا كان أمر التسخير الذي ضربه سليمان لأجل بناء بيت الرب وبيته وبناء مِلّوَ وسور أورشليم وحاصور ومجدّو وجَازَرَ. كان فرعون ملك مصر قد صعد إلى جازر وأخذها وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين المقيمين بالمدينة ووهبها مَهراً لابنته زوجة سليمان. (الملوك الثالث عشر ٩:١٠-١٦).

ما جاء في سفر الملوك الثالث يغاير تماماً وينفي ما جاء عن عظمة سليمان، اذ على عكس ذلك، فهو يبدو ملكاً مديوناً ومنافقاً يستقرض ولا يفي حقوق دائنيه أو يغشهم كما فعل مع صديقه وأخيه حيرام ملك صور.... فأعطاه، سدّاً لديونه، عشرين بلدة محروقة ومدمّرة.

أما القول ببناء سور أورشليم، فإن التاريخ لم يثبت ذلك إذ لا وجود لسور في أورشليم على زمن سليمان. وما يُعرف بسورها فقد بناه الامبرطور الروماني ادريان Adrien الذي حكم بين سنة ١١٧- ١٣٨ بعد الميلاد، بعد قمعه لثورة المكابيين الثانية بقيادة باركوشيبا Barkosiba، ودمّر المدينة تدميراً كاملاً، وطرد اليهود من القدس ومنعهم من الدخول إليها وبقي هذا المنع سارياً حتى القرن السابع بعد الميلاد. وأبدل اسمها باسم إيليا Aelia Capitalina الذي بقي إلى زمن بعيد تُعرف به، وبنى حولها سوراً عظيماً من حجارة ضخمة كتلك التي بناها في بعلبك، والذي كان قد دمرّه تيطس سنة ٧٠ بعد الميلاد مع هيكل أورشليم. وانتهى بناء السور على زمن انطوخيوس.

يقول الحاخام ربّي أكيبا Rabbi Akiba الذي عاش في نهاية القرن الثاني للميلاد بعد زيارته للقدس مع زوجته أنّه شاهد ثعلباً يخرج من خرائب ايليا. ولدى فتح العرب لفلسطين بقيادة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٨ ميلادية، ولدى تنظيفهم لآثار الهدم في جبل الهيكل لإقامة خيم معسكرهم اكتشفوا آثار الهيكل الروماني الذي بناه الأمبراطور ادريان تكريماً للإله جوبيتر فاعتقدوا انه هيكل سليمان المقدّس عندهم ايضاً، فبنوا عليه في

القرن السابع الميلادي المسجد الأقصى والقبّة. ومنذ ذلك الوقت لا يزال اليهود يعتقدون أن بقايا الجدران القديمة، ومنها جدار حائط المبكي، هي آثار هيكل سليمان في حين أنها آثار هيكل جوبيتر الذي بناه أدريان تخليداً للإله الروماني. وفي العام ١٩٨٠ اعلنتها اسرائيل عاصمة لها مرتكزة على نبوءة أشعيا " **قومي استنيري يا اورشليم لأنه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك... تسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك وبنو الذين قهروك يسيرون اليك خاضعين وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك.** (أشعيا ٦٠ ١٤:١).

أما بناء الهيكل اليهودي المزعوم، حسبما تقول التوراة فقد بدأ العمل به في السنة الرابعة لحكم سليمان اي في سنة ٩٦٩ قبل الميلاد، وانتهى أحيرام الصوري من بنائه في الثالث والعشرين من تشرين الثاني من السنة الحادية عشرة لحكم سليمان اي في سنة ٩٦٢ قبل الميلاد. أي أن البناء قد تمّ في سبع سنوات بناء للمواصفات والقياسات الواردة في الملوك الأول: "**بطول ستين ذراعاً وعرض عشرين ذراعاً وسماكة ثلاثين ذراعاً، والرواق قدام الهيكل طوله عشرون ذراعاً وحسب عرض البيت وعرضه عشرة أذرع قدام البيت**" الملوك الأول (٦: ١-٣).

لو قورنت هذه المقاييس مع مقاييس هرم خوفو الذي بُني في عهد الأسرة الفرعونية الرابعة التي حكمت مصر لتثبت أنَ من كتب التوراة، كان على اطلاع بثقافة مصر وبهندسة البناء فيها، "إذ ان مقاسات هيكل سليمان التي تدّعي التوراة انها إلهية التصميم هي نفسها مقاسات هرم خوفو.

كما لو قارن البحاثة التوراتيون مقاسات ما بقي من هيكل جوبيتر مع مقاسات هيكل سليمان المزعوم لعرفوا أن هيكلهم ما هو إلا نتاج خيال كتّاب التوراة، ولعرفوا أن بكاءهم على ما يُسمى بحائط المبكى، هو بكاء مخادعة وجهل للحقائق، إلا اذا كان يهوه هو نفسه جوبيتر كما كان في الماضي مندمجاً مع أهورامازدا الزرادشتي.

أما الكنز الذي تتحدث عنه التوراة الذي سمح قورش بإعادته يوم أصدر أمره بعودتهم الى ديارهم والذي كان قد استولى عليه نبوخذ راصر وجلبه الى بابل، فأمر مشكوك به!!. اذ كيف يمكن الاحتفاظ بمثل هذا الكنز لمدة سبعين سنة، بعد تدمير القدس تدميراً كاملاً على يد نبورذدان قائد نبوخذ راصر؟ أو ليس من المنطقي أن يُوزّع هذا الكنز على الضباط والجنود مكافأة لهم بالنصر كما حصل في المكسيك لدى استيلاء الاسبان عليها ونهبهم كنوزها وثرواتها؟.

للرد على ذلك يحاول عزرا تبرير بقاء الكنز بقوله أنه كان محفوظاً في هيكل يدعى "هيكل بابل". من هذا التبرير الهش يأتي الدحض. فهل كانت هياكل بابل مكرّسة لغير الاله مردوك بعد ضمّه لأهورا مازدا، الإله العالمي المتمثّل بالثور المجنّح؟. وهل كهنة مردوك هم بحاجة لأشياء لا تعنيهم شيئاً في ممارسة طقوسهم؟ ثم من أين لسليمان أو لوالده من قبله، مثل هذه الثروات وها سليمان يستدين من حيرام، ملك صور، مئة وعشرين قنطار ذهب ولم يستطع إيفاءها بعد عشرين سنة، بل أعطاه بدلاً منها عشرين مدينة في أرض الجليل، بعضها محروق والبعض الآخر ليس بذي قيمة، مما دفع بصديقه حيرام لمعاتبته ولومه على ذلك؟!...

من الغباء الظن ان الريف الفلسطيني كان يمتلك في ذلك الزمان، مثل هذه الكنوز للتبرع بها لبناء هيكل لا يؤمن بقدسيته، الا قلّة منه. والمبالغة والتضخيم في سرد مثل هذه المبالغات ما هو الا للتشبه بما كانوا يحسدون غيرهم عليه وكل ما ورد في التوراة عن بناء البيوت والقصور في أرض إسرائيل هو من التضخيم والادعاء بعلو الشأن والمقام. ففي صموئيل الثاني نفيٌ لأعمال البناء وإشادة العمران عند الشعب اليهودي حتى في زمن داود حسبما جاء على لسان ناثان البني:

"**أأنت تبني لي بيتاً لسكناي، لأني لم أكن أسكن في بيت يوم أصعدتُ بني اسرائيل من مصر الى هذا اليوم. بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن**".(صموئيل الثاني ٦١٧). وعندما انتهى داود من بناء العلّية التي تحولت توراتياً الى "قصر"، كان الشعب اليهودي يعيش في خيام: " **والآن أنظر الى بيتك. وذهب كل إسرائيل الى خيامهم**" (**الملوك الثاني ١٦:١٠**).

كل هذا يثبت أنّه لم يكن لليهود، حتى في زمن داود، مساكن مبنيّة، من حجارة، فهم شعب تحوّل من بداوة الرعي وتربية الماشية الى شعب غاز يعيش على ما يكسبه من الأسلاب، وفي نهاية كل غزوة يعود الى خيامه: "**وأما اسرائيل فهرب كل واحد الى خيمته**" (ملوك الاني ١٩:٨).

أمّا إدعاء عزرا ببناء نبوخذ راصر لهيكل في بابل سماه هيكل بابل، لحفظ ثروات الشعب اليهودي، هو تشويه للحقيقة لأن نبوخذ راصر كان يكرههم، أما ولده أويل مروداك الذي تولّى الحكم بعده، فقد قتله الشعب لاتهامه بأنه صار يهودياً، ومن المحتمل أنه هو من حاول تشييد هيكل ليهوه باسم هيكل بابل.

من الخطأ الشائع، اعتقاد الجميع، بأن سليمان كان ملكاً قويّاً من ملوك القرن العاشر قبل الميلاد، وبأنه كان يتاجر مع

Tartessus المفترضة توراتياً أنها ترشيش في إسبانيا. فإلى جانب مستعمراتهم وقواعدهم التجارية في البحر المتوسط، فلقد أقام الفينيقيون، بعد حرب طرواده، مستعمرات لهم خارج مضيق جبل طارق بحسب ما يذكره المؤرخ سترابو Strabo. وبأن أقدم هذه المستعمرات يعود على ما يبدو، إلى حوالي القرن الثامن قبل الميلاد على أبعد تقدير. ففي هذه الحقبة نشطت تجارتهم حتى وصلوا إلى شواطىء اميركا الجنوبية ومنها البلاد التي أُطلقوا عليها صفة إلههم أيل وهي المعروفة اليوم باسم البرازيل.

لم يلحظ سترابو، بالضرورة، إلى ان من ارّخ للحرب الطروادية قدجعلها قبل أربعماية سنة من وقوعها، وبالتالي فإن هذه الحرب لم تكن بالقِدَمِ الذي بنى عليه المؤرخون المعاصرون. وعلى ذلك، لم يكن الفينيقيون قد وصلوا إلى الشواطىء الإسبانية والمغربية قبل الالفية الأولى قبل الميلاد، وبالتالي فإن تجارة سليمان مع ترشيش كانت تجارة مزعومة وليس كما ادعاه كاتب التوراة في مرحلة لاحقة لهذه الحقبة.

في الجزء الأول من كتاب "التاريخ" يقول هيرودتس بأن الفينيقيين هم الذين اكتشفوا ترشيش اثناء إبحارهم بعيداً في سفنهم الخمسينية المجاذيف التي حلّت مكان سفنهم الشراعية

القديمة المربعة الشكل، ذات المجاذيف القليلة. وتبيّن المزهريات الأغريقية والكورنثية العائدة للقرن الثامن قبل الميلاد سفناً عشرينية المجاذيف التي تعتبر أساساً للسفن الخمسينية التي وضعت في الخدمة حوالي سنة ٧٠٠ قبل الميلاد، وعليه فمن المفترض أن الفينيقيين قد اكتشفوا ترشيش بعد هذه المدة، أي في نهاية القرن السابع قبل الميلاد أو في بداية القرن السادس قبل الميلاد، أي بعد ثلاثة قرون من وجود ملك اسمه سليمان.

إن جميع الأبحاث العلمية ترتكز على الموضوعية في التسلسل التاريخي الإنساني ومطابقته للأحداث في الزمان والمكان، وبذلك فإن ما جاءت به التوراة لا يعتبر تاريخاً وإنما تصورات وآمال وأحلام وأماني شعب للتشبّه بمن جاوره من الشعوب المتحضّرة واندماجه فكرياً ودينياً واجتماعياً بحضارتها بمختلف وجوهها.

يلاحظ ان الإدعاء بأن داود هو مؤسس للدولة اليهودية،، أو ان خلفه سليمان حاول ذلك، بحسب المفهوم الحديث لقيام الدولة، ما هو بالحقيقة الا محاولات لفرض الذات على مجموعات من القبائل المجاورة. فلو كانت لداود القوة العسكرية المذكورة في صموئيل الثاني: "**فدفع يوآب جملة عدد**

الشعب إلى الملك فكان إسرائيل ثمانماية الف رجل ذو بأس مُستل السيف ورجال يهوذا خمس مئة ألف رجل" (صموئيل الثاني ٢٤:٩). لما كان هرب من ابنه ايشالوم " **وإبشالوم الذي مسحناه علينا ملكاً**" (صموئيل ١٩: ١٠). الذي ليس له الا مئتا رجل إحتل بهم اورشليم وسافح نساء أبيه العشرة: "**وانطلق مع أبشالوم مئتا رجل من اورشليم**" (صموئيل الثاني ١٥: ١١) **فقال داود لجميع عبيده... قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاة من وجه ابشالوم... وترك الملك عشر نساء سراري لحفظ البيت**" (صوئيل الثاني ١٥ ١٤-١٦).

"**فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه العشرة أمام جميع إسرائيل**" (صموئيل الثاني ١٦:٢٢).

كما أنه لو كان لداود هذه القوة لكانت الدولة العبرية الموعودة من الفرات إلى النيل، قد تحققت من زمن داود، ولم تكن بعدها بحاجة لثلاثة آلاف سنة من الحروب والويلات كي تكون ذات سيادة مطلقة، ودون منازع لها على هذه الأرض!...

أمّا المحاولة الحقيقيّة لقيام دولة عبرية في منطقة يهوذا فكانت أيام الثورة المكابية ضد الحكم الروماني والتي دامت لمدة قرن من الزمن تقريباً، من سنة ١٦٥ قبل الميلاد والى

سنة ٦٣ بعده. استطاع اليهود خلالها الشعور بالاستقلال داخل دويلتهم المصغّرة، وتنامى شعورهم بالتفوق وبالعدائية لكل من ليس يهودياً حتى ولأشقائهم السامريين الذين كان لهم معبدهم الخاص في جبل جريزيم Gerizim ممتنعين عن الاعتراف بهيكل اورشليم فاعتبرهم المكابيون خارجين على الدين اليهودي، على الرغم من ايمانهم بإلههم المشترك يهوه وذلك لاعتبارات أثنية وسياسيّة وعقائديّة. فيهود السامرة لا يعترفون بكل أسفار الكتاب المقدس مكتفين بالكتب الخمسة الاولى التي يعتقدون أنّ موسى هو كاتبها وسمّوها التوراة.

إن اليهودية إنتماء دينيّ عرقي. فالدين وأساسه ما جاء في التوراة، يشكّل خارطة طريق المستقبل لمسيرة الانتماء، أي أن ما جاء فيها هو الاستراتيجية الموحّدة لليهود، وتشبثهم بهذا الانتماء أدى لوجود النظريات العنصرية الأخرى المعادية لهم والتي استطاعوا استغلالها لاستمرارية بقائهم. كما حصل مع النازية التي ادعوا أنها معادية للسامية، فتجيشوا لبث الدعاية ضدها على أنها لا إنسانية وكان ذلك في أساس دعم العالم الغربي، بعد الحرب العالمية الثانية لاستمرار إسرائيل حتى اليوم.

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

إن جميع مسحاء اسرائيل المكرّسين لاعادة مجدها وتمكينها من تنفيذ الوعد الالهي بتملك الأرض إبتداء من شاول وداود وأبشالوم، وسليمان ورحبعام وولده ناداب، ويربعام، وأبيام وبعشا بن أخيا، وآخاب الذي تراءى له إيليا، ويشوع واليشع وياهو وغيرهم وغيرهم لم يستطيعوا تحقيق الوعد الالهي، كما لم يتمكنوا، على الرغم من كل ما كان يعمل لهم يهوه، من تثبيت أبوته لهم، وبالتالي لم ينفذ هؤلاء وعودهم لإلههم. فبعد تدمير المدينة سنة ١٣٥ بعد الميلاد وعلى يد أدريان وقعوا في اليأس وباتوا يأملون بمجيء مسيح مخلّص لهم مستندين على نبؤات أشعيا وأرميا وحزقيال الإرهاصية التي دوّنها كتّاب التوراة.

بعد أن أثبتتْ ظروف وكتابة التوراة لدى العديد ممن تداولوا عليها من الكتبة، لا بد من العودة إلى دراسة أسباب وقائعها دراسة موضوعية مجرّدة تميّز بين التاريخ المستند إلى الوقائع الحقيقية في الزمان والمكان، وبين التأريخ الذي يفرض أهواء المؤرخ وأحلامه وميوله ورغائبه وتطلعاته، مازجاً الخيال والتصوّر مع بعض الوقائع والأسماء والتواريخ حتى ليُظن أن ما ورد هو حقيقة صحيحة. فالملك ارثر وقصص بطولاته التي وضعها اللورد فرنسيس بايكون ووقعها باسم

شكسبير، الذي اصبح اسمه الوهمي مرادفاً لأهم كاتب إنكليزي نُسبت اليه المؤلفات التالية:

Tempest, Macbeth, Hamlet, The Merchant of Venice, The Tragedy of Cymbeline.

فَطُمِسَ اسم المؤلف الحقيقي Francis Bacon فرنسيس بايكون ليحل محله اسم شكسبير، ولا يستطيع أيّ استاذ جامعي إقناع رفاقه أو طلابه بهذه الحقيقة الأساسية التي طمسها الواقع.

كما أن تأريخ قصص وبطولات عنترة وسيف بن ذي يزن لا يمكن دحضها بعد أن ترسّخت لأجيال وأجيال كواقع أُلْبِسَ زي الحقيقة التي يصعب محوها أو إزالتها من الفولكلور الشعبي الهادف إلى نفخ روح البطولة عند العامّة والخاصّة من الشعب.

إن التأريخ هو تصوّر حُلمي لوقائع لم تحصل أبداً في الماضي ويفترض حصولها في المستقبل. أما التاريخ فيورد الأحداث والوقائع في الزمان والمكان بشكل موضوعي دون تحيّز أو دون فرض لأفكار مسبقة على الواقع.

كشـــف القـــناع

*

لم يكن الدين يوماً الا وسيلة للسيطرة السياسية.

*

أثناء السبي لم يكن همّ اليهود إلاّ التخلّص من ذلّ التّشرّد والحلم بالعودة إلى أرض حلموا أن تكون لهم. فَكثُرت أحلام وتخيلات وتصوّرات وترائيات أنبيائهم لمسيح، ملك، قائد، يخلّصهم من محنتهم ويبيد أعداءهم. وجميع مسحائهم من القادة، لم يحققوا الحلم، ونكثوا بوعودهم لإلههم الذي وعدهم بالحماية وبالبنوّة. ومع كل مسيح جديد كانوا يأملون، ويأملون وخاب أملهم مع جميع هؤلاء الممسوحين. ونبوءات أشعيا، وأرميا، وميخا وهوشع التي تحدّثت عن مسيح يُخلّص شعبه الخاص من مظالم بقية الأمم لم تكن بأكثر من إرهاصات أحلام عفا عليها الزمن!.

ومن يتمعّن بقراءة التوراة المتداولة، بجيمع نسخها، يكتشف أنّ مسيح النبوءات الواردة فيها، مغاير للمسيح الذي تنتظره جميع شعوب الأمم، مسيحاً كونياً، مخلّصاً من العداوة، والبغض والكراهية والأنانيّة وحب التملك والاعتداء على

الآخرين، فيصبح الناس نظراء لبعضهم البعض دون تمييز في العرق واللون والموقع والمعتقد، ويكون أقربهم إلى الله أتقاهم. فلا خاصة له يحميها ويدافع عنها ويبيد أعداءها، ويخصها بالرضى وبالوعد وبالبنوة. فالأعمال الخيرة هي التي تقرّب الانسان من خالقة، لا الانتماء إلى أحد الأديان التي ابتدعها الإنسان ونسبها إلى خالق الأكوان.

ما دام اليهود يعتبرون أنفسهم عائلة الله المقدسة التي لأجلها وُجِدَ فقط، فلن يهنأوا العيش بمكان، ومتى أقرّوا بأن جميع الناس هم نظراء في الخلق، وأنهم مثل غيرهم من بقية الشعوب، وإن اختلفت اديانها ومعتقداتها، أبناء الإله الواحد الصمد الذي لا شريك له ولا عديل ولا مساوياً ولا شبيه، الدائم القدرة والوجود، ماليء الأكوان وفائضٍ عنها، ولا وصف له ولا قياس ولا حدّ ولا ماهيّة، به كل شيء، ولا شيء بدونه، حينئذ لا حاجة لهم لمسيح ينقذهم من أعدائهم. أما إذا بقوا على ايمانهم، الذي ابتدعته تخيّلات قادتهم عبر تاريخهم بوعد مجيء مخلّص من نسل داود فسينتظرون سراب الخلاص إلى الأبد.

إن جميع البشارات التي تحدثت عن مجيء المسيح هدفت إلى المسيح اليهودي فقط. وإيمان المسيحيين بها مغاير لما يتوخونه، فيسوع الناصري، ابن مريم، إذا كان من روح

الله، أو هو كلمته التي ألقاها إلى مريم فهو مسيح كوني، أما إذا كان من زرع بشري، فهو ليس بالمسيح الكوني المنتظر، وإنما هو أحد قادة اسرائيل الذين مرّوا عبر التاريخ، ليس إلاّ، فخيب آمالهم لأنه لم يحقق ما وعدهم به يهوه. فالتناقض بين إيمان المسيحيين بمسيح كوني وبين ايمانهم بالمسيح التوراتي يبدو ظاهراً من خلال ما ورد في الأناجيل: "**أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم، أمه، مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا، وُجدت حبلى من الروح القدس، فيوسف، رجلها، إذ كان باراً، لم يشأ ان يُشهرها، أراد تخليتها سراً. ولكن فيما هو مفتكر في هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف بن داودلا تخف ان تأخذ إمرأتك لأن الذي حُبل به فيها هو الروح القدس**" (متى: ١: ١-٦).

ثم إنّ متى يذكر في بداية الاصحاح الأول التسلسل الوراثي ليسوع ليثبت يهوديته: "**.... ومتان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف، رجل مريم الذي وُلِدَ منها يسوع الذي يدعى المسيح**". (متى ١:١).

وفي موضع آخر يقول متى على لسان رؤساء الكهنة وكتبة الشعب لدى جوابهم لهيرودس عن ولادة المسيح: "**وأنت**

يا بيت لحم اليهودية لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبّر يرعى شعبي اسرائيل". (متى – ٢:٥).

ثم يقول في نداء الكرازة الذي بدأه يسوع: " **اذهبوا إلى خراف بني اســرائيل الضَالة**". (متى ١٠:٦).

كلّ ما أراده متى في انجيله الذي كتبه بعد خمسٍ وأربعين سنة من صلب يسوع هو إثبات يهودية المعلم الكوني فيقول في الاصحاح الخامس عشر: "**لم أرسل الا لخراف بني اسرائيل الضالة وليس حسناً ان يُؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب**". (متى ١٥: ٢٤-٢٦). وهذا الكلام أطلقه متى وحرره كتابة بعد خمْسٍ وأربعين سنة من صلب يسوع. " **وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة "ارحمني يا سيد يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين، اصرفها أنها تصيح وراءنا. فأجاب وقال لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة، فأتت وسجدت له قائلة، يا سيد أعنّي، فأجاب: وقال ليس حسناً ان يُؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب، فقالت نعم يا سيد. والكلاب ايضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة اربابها**". (متى ١٥: ٢٢-٢٨). أمام إصرار هذه الكنعانية، قال لها يسوع: "**ليكن لك ما تريدين**".

قصة هذه الكنعانية وردت ايضاً في إنجيل مرقس الاصحاح السابع لكن مع التشديد على ذكر هويتها بأنها فينيقية سورية. هذا الانتساب المبرمج لأن يكون يسوع من نسل داود فقد نفاه يسوع لدى إقناعه الكهنة والكتبة بأنه ليس من نسل داود: "**وفيما كان الفريسيّون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً ماذا تظنّون في المسيح ابن من هو؟. قالوا له ابن داود. فقال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربّاً قائلاً. قال الرب لربي، إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لرجليك. فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه. فلم يستطع أحد ان يجيبه بكلمة.** (متى ٢٢: ٤١-٤٦).

وفي مكان آخر، فإن يسوع توجه بالكلام إلى سكان اورشليم الذين يؤمنون بمسيح مولود من زرع بشري، ومن نسل داود حصراً، ليقنعهم بأنه آتٍ باسم الرب وليس بارادة بشرية. "**يا اورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً. لأني اقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب**". (متى ٢٣: ٣٧-٣٩).

أما لوقا الذي كتب انجيله في سنة ٥٨ بعد الميلاد فقد حاول إثبات النبوءات القائلة بمجيء المسيح من نسل داود بإرادة إلهية: "**وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم. فدخل اليها الملاك وقال سلام لك ايتها المُنعم عليك. الرب معك. مباركة انت في النساء.. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكّرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها انت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميّنه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى ويعطينا الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية.** (لوقا ١: ٢٦-٣٣).

ويعزو لوقا، بشارة الملاك لأليصابات بحبلها وبولاة ابنها يوحنا، لافتقاد الله لشعبه إسرائيل: "**مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه. وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه. كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر خلاصنا من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا. ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكرُ عهده المقدس**" (لوقا: ٦٨-٧٢). ثم

يقول: "**عضد اسرائيل فتاه ليذكر رحمة. كما كلّم آباءنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد**" (لوقا١: ٥٤-٥٥).

ثم إن لوقا زيادة في إثبات نَسَبِ يسوع إلى داود فقد أتى بشاهد عجوز اسمه سمعان لدعم رأيه: "**وكان رجل في اورشليم اسمه سمعان، وكان الرجل باراً... وكان قد أُوصي اليه بالروح القدس انه لا يرى الموت قبل ان يرى مسيح الرب... وعندما دخل بالصبي يسوع ابواه ليصنعا له بحسب عادة الناموس. أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال الآن تطلق عبدك يا سيد... لأن عيني قد أبصرتا خلاصك... نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل**". (لوقا٢: ٢٥-٣٢).

في الاصحاح السابع يذكر لوقا قصة شفاء يسوع لعبد قائد المئة بناء لإلحاح شيوخ اليهود. ليؤكدحصرية مجيء يسوع لشعبه إسرائيل ولمن يساعدهم.: "**وكان عبد لقائد مئة مريضاً مشرفاً على الموت وكان عزيزاً عنده. فلّما سمع عن يسوع أرسل إليه شيوخ اليهود يسأله أن يأتي ويشفي عبده. فلما جاءوا إلى يسوع طلبوا إليه باجتهاد قائلين انه مستحق ان يفعل له هذا. لأنه يحب أُمّتَنا وهو بنى لنا المجمع**" (لوقا٧: ٢-٥).

أما يوحنا الإنجيلي الذي كتب انجيله سنة ٩٩ بعد الميلاد حسبما ذكره الأب لويس كتفاكو في كتابه " الأدلة الجليّة في سلطان الكنيسة الكاثوليكية والرياسة البطرسية" فقد بدأ انجيله بتلميحات فلسفية ليقول ان يسوع لم يأت بمشيئة بشريّة ولا من نسل بشري له: "**الذين وُلِدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله. والكلمة صار جسداً ورأينا مجده مجداً**" (يوحنا١: ١٣-١٤).

ولكن يوحنا على الرغم من ايمانه بحلول كلمة الله في مريم، فإنه لم يتخل عن فكرة المسيح مخلّص إسرائيل ومُعيد مجدها. فلدى التقاء يسوع بنثنائيل قال له هذا الأخير: "**يا معلم، أنت ابن الله، انت ملك اسرائيل**" (يوحنا١:٤٩).

وفي عيد الفطر استقبلت الجماهير يسوع قائلة: "**مبارك الآتي باسم الرب، ملك اسرائيل**" (يوحنا ١٢:١٣).

ويتابع يوحنا فيقول: "**ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب. لا تخافي يا ابنة صهيون، هوذا ملكك يأتي جالساً على جحش أتان**" (يوحنا ١٢:١٤).

من الملاحظ أنّ كتّاب الأناجيل: متى ومرقس ولوقا ويوحنا هم من اليهود الذين رأوا في يسوع صورة للمسيح، مخلّص إسرائيل، فأصرّوا على نسب يسوع إلى داود تحقيقاً

لأقوال أنبيائهم؛ اذ ألقى هؤلاء الكتّاب رؤى وأقوال أنبيائهم على شخص يسوع على ظنّ، أنه سيكون مسيحهم، وحدهم. فاليهود في توراتهم من خلال انبيائهم كانوا ينتظرون مجيء المسيح، الملك، المنقذ، الذي يبيد أعداءهم ويحقق حلمهم بأرض الميعاد فيكونون شعبه الخاص ويكون بدوره مسيحهم الخاص بهم جداً دون غيرهم من شعوب العالم. وكانت المفاجأة حين قدم يسوع إلى أورشليم على جحش أتان وبيده غصن زيتون، يبشّر بالمحبة للجميع، رافضاً الملك، على عكس ما كانوا يتوقعونه ملكاً قادماً على حصان ناري من أحصنة سفر الرؤيا، وبيده سيف متوهج يقطر دماً، فخاب أمل الكثير من تلاميذه، فبدأوا يتهاوون من حوله، ومنهم يهوذا الاسخريوطي، المشبع بمبادىء المكابية، فانسل عنه وأسلمه إلى اعدائه، منتقماً لنفسه من خيانته لتعليم المكابية بالتحاقه بيسوع على ظنٍ منه بأنه المسيح المنتقم معيد المجد لإسرائيل. ويروي متى ان يهوذا ندم على فعلته فخنق نفسه. "**حينئذ لما رأى يهوذا الذي اسلمه انه قد دين ندم وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ... ثم مضى وخنق نفسه**" (متى٢٧: ٣-٥).

أما الحقيقة بشأن نهاية يهوذا ما رواه بطرس في سفر الأعمال "**أيها الرجال الأخوة كان ينبغي ان يتمّ هذا المكتوب**

الذي سبق الروح القدس فقال بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع. اذ كان معدوداً بيننا وصار له نصيب في هذه الخدمة. فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت احشاؤه كلها". (اعمال١: ١١-١٨).

ليس من المنطقي ما جاء على لسان متى بأن يهوذا خنق نفسه، فمن المنطقي ان بطرس انتقاماً لخيانة يهوذا، هو الذي بقر بطنه وقتله. وكما هو معروف عنه فإنه كان على الدوام يحمل سيفاً على الرغم من تعاليم يسوع التي وجهها اليه حين رفع سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة حين محاولتهم القبض على يسوع: "**فقال له يسوع ردّ سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يُقتلون**".(متى ٢٦: ٥٢).

المسيح الذي بشّر به الملاك هو مسيح أممي دون تفرقة بين شعب وشعب وبين أمّة وأمة هو محبة شمولية وتسامح كوني لا حدود له. هذا المسيح روح الله وكلمته إلى مريم، خيّب آمالهم، وكانت نكبة اليهود بمجيئه وبمثالية تعليمه اشد نكبة عليهم من نكبات نبوخذراصر وتيطس، وأدريان وغيرهم وغيرهم، التي اصابتهم عبر أجيالهم. فالمسيح ليس كما قال

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

عنه متى: "**لا تظنوا انّي جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل**".(متى ٥: ١٧).

فهو أتى ليكمل كل برّ كما قال ليوحنا لدى إلتقائة: "**حريّ بنا أن نكمل كل برّ**": فيسوع نقض هيكل الايمان اليهودي حين طرد الكهنة والبائعين من الهيكل قائلاً لهم: "**بيتي، بيت صلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة لصوص**".

أليس هو القائل: **لا يُرقع الثوب الجديد برقعة قديمة. وهل تُوضع الخمرة الجديدة في الزقاق القديم؟.**

أليس هو من قال: **لقد قيل لكم العين بالعين والسن بالسن، واما انا فأقول لكم: من ضربك على خدك الايمن فحوّل له الأيسر؟.**

أليس هو من قال: **اريد رحمة لا ذبيحة؟**

أليس هو من قال: **أخوك من صنع معك الرحمة؟**

أليس هو من قال: **ابن الانسان لم يأت ليهلك بل ليخلّص؟**

أليس هو من قال: **من يأخذ بالسيف، بالسيف يؤخذ؟**

أليس هو من قال: **لا تقاوم الشر بالشر، بل قاوم الشر بالخير؟**

أليس هو من قال: **لا تغرب الشمس على غيظكم؟**

أليس هو من قال: **اغفروا يُغفر لكم؟**

أليس هو من قال: **احبوا اعداءكم، باركوا لاعنيكم، احسنوا الى مبغضيكم، صلّوا لأجل المسيئين اليكم؟**

أليس هو من قال: **من منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر؟**

أليس هو من قال: **لا تقدّم قرباتك إذا كنت على خصام مع أخيك؟**

أليس هو من قال: **طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون؟**

بعض هذه النفحات من تعاليمه أليست نقضاً للتعاليم اليهودية؟؟ أليست إكمالاً للبرّ الذي لم تعرفه في مبادئها؟

فالمسيح هذا، إنما هو نعمة الله لمريم ولا علاقة لبشريّ بمجيئه فهو ليس من صلب اي انسان ولا علاقة لزرع بشريّ، أيا كان نوعه وأصله وفصله، بولادته، مهما حاولت اليهودية، ومن دار في فلكها من الشيع، ان تسلسل من أجيال وتسمّي من أسماء، فلو كان يسوع من صُلب بشر، فلا حاجة للملاك ان يأتي مريم ليبشرها بالمولود العظيم، ولما كان لها هذه الميزة، التي خصّها بها الله، على غيرها من نساء الكون كله.

هذا المسيح الكوني، أصاب بالعمق بعض المتشددين اليهود الذين كانوا ينتظرونه مسيحاً، محارباً ليعيد لهم الملك المفقود، فعمد يوحنا المسمى باللاهوتي وهو كاهن يهودي من

أفسس، عاش في عهد الأمبراطور دوميتيان الذي حكم ما بين ٨١ من الميلاد لغاية سنة ٩٦ منه، الذي نفاه إلى جزيرة بطمس، فكتب رؤياه مدّعياً أنّه مبعوث المسيح إلى الكنائس السبع: أفسس، سميرنا، برغامس، ثياترا، ساروس، فيلادلفيا، لادوكيا. فاستعادت اليهودية بما جاء في هذا السفر، بريق نبوءات حزقيال وأرميا وأشعيا وهوشع وغيرهم، بعد ان أُشبعت بالغنوصية اليونانية الممزوجة بالزرادشتية، وأعيدت للإله التوراتي الصفات الوثنية، وأُحيط مسيحها بالمينورا، وحُمِّل السيف الملتهب والصولجان المصبوغ بالدم، وأصبح الملك الذي كانت تحلم به اليهودية منذ نشأتها.

كتاب الرؤيا، هذا، رفضه الكثير من اللاهوتيين من بينهم أوسابيوس سنة ٣٤٠ ميلاية، ودنيس الاسكندراني سنة ٢٦١ ميلادية وكان سبباً للخلاف بين أركان الكنائس المسيحية المجتمعين في لادوكيه سنة ٣٦٢ للميلاد. وبقي مرفوضاً لأكثر من ألف وخمسماية سنة بعد كتابته، إلى أن ضُمّ مع التوارة إلى الأناجيل الأربعة المتداولة حالياً في مجمع ترانت Trente الذي استمر منعقداً مدة ثماني سنوات انتهت سنة ١٥٤٦ ميلادية بإعلان صحة الكتب المقدّسة، واعتبار الأناجيل الأربعة وأعمال

الرسل والرسائل وكتاب التوراة وسفر الرؤيا كتاباً واحداً مقدّساً عند المسيحيين.

فهل القرون الستة عشر التي سبقت مجمع ترانت كانت على خطأ، وهي الأقرب إلى الينبوع، أو ان قرارات هذا المجمع وأمثاله وقد أشبعت بالتعاليم اليهودية هي الخطأ؟.

بالاستناد إلى ما جاء في هذا السفر تعتمد الكنائس البروتستانتية بمختلف تسمياتها، في دعوتها لتحقيق نبوءات هذا السفر بما في ذلك الاعداد لمعركة هرمجدون الرهيبة التي ستدور رحاها في منطقة ماشك وتوبال كايين التوراتية وهي المنطقة التي تشمل إيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والعراق وسوريا وبعضاً من أجزاء الهند، والتي سيتم في نهايتها سحق الشعوب المعادية لإسرائيل، تهيئة لمجيء المسيح التوراتي بعد ان يكون الشتات اليهودي قد تجمّع في الأرض الفلسطينية التي وعده الزعم الالهي بها. ومن المتوقع أن يتم هذا الأمر في نهاية الربع الأول للقرن الواحد والعشرين. وبذلك سيتم ما قاله اشعياء: "**قومي استنيري يا اورشليم لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك... تسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك... وَبَنوّ الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين، وكل**

الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك".(أشعياء ٦٠: ١-١٤).

بناء لهذا الايمان، فعلى كل بروتستانتي مؤمن وعلى كل متشدد توراتي ومنهم شهود يهوه، ينتظر عودة المسيح الثانية أن يُهيّء شروط هذه العودة ومنها المساعدة في جمع الشتات اليهودي في فلسطين والإعداد لمعركة هرمجدون. وقد غفل عن بال هؤلاء ان كان هناك مجيء لمسيح ما، فلن يكون إلاّ مسيحاً صانعاً للسلام، فجميع المسحاء الذين حفل التاريخ اليهودي بهم قد اشبعوا الأرض دماً وويلات وحروباً ولم يفلحوا بتحقيق حلمهم في إقامة دولتهم المزعومة بين الفرات والنيل.

بكلمة واحدة فقد قلب يوحنا برؤياه، مع المتمسيحين الطاولة على المثالية المسيحية، وأماتوا مسيح المحبة والتسامح والقيم الانسانيّة والسلام ليحيوا مسيح التوارة، المسيح الوثن الملطّخ بالدم الذي يحمل بيمناه سيف النار المجوسية.

المناقبية الحقيقية التي بشّر بها يسوع لم تدع إطلاقاً للعنف والقتل اللذين مورسا على مر العصور الغابرة، فجرت انهار الدم الغزيرة التي ما زالت آثارها تلطخ صفحات التاريخ الانساني في كل الأمكنة التي تواجدت فيها المسيحية. حتى لقد بدت تعاليم يسوع المثالية شعارات لمؤسسة استغلت تلك التعاليم

للسيطرة السياسية والاجتماعية على أتباعها وعلى الشعوب التي تتوخى قداسة تلك التعاليم، فمنذ قرنين وهذه المؤسسة تطبّق تعاليم التوراة اليهودية، وقد غفلت تماماً عن تعاليم يسوع، مسترشدة فقط بما جاء بسفر رؤيا يوحنا وبنبوءات عنصرية تتنافى تماما مع ما جاء يدعو اليه يسوع. فالعجب لطريقة الآباء ولمعلمي الحكمة والمرشدين الروحيين من قراءتهم لما جاء في التوراة المتداولة. فمن أين أتوا بفيض العبر الإنسانية والأخلاقية التي ما يزالون يعمّمون مفاهيمها ويروّجون لها في مختلف المناسبات على انها إلهية المصدر ومن كتاب مقدّس إسمه التوراة؟!..

ما هي معايير الألوهة التي اعتمدوها في تقييم الرب التوراتي وهم المدّعون الايمان باله واحد، عادل، ضابط الكل نقيض الاله الذي دعا اليه أحد هؤلاء المستنبئين العنصريين.

" **الرب اله غيور ومنتقم. الرب منتقمٌ وذو غضب وحاقد على اعدائه**".(نحوم ١:٢).

هل الغضب هو من علامات القدرة أم من علامات العجز ؟!..

هل يعجز الله ؟ ثمّ هل لله أعداء ؟ هل هو عاجز عنهم ليبقيهم أعداء أبديين له ؟

هذه الماديّة في ماهيّة الاله التوراتي، هي من صفات الوثنية العنصرية التي ما فتئت موجودة في الفكر الديني المعاصر.

هل تجوز عبادة ربّ يقول لنبيّه هوشع:" **انطلق واتخذ لك إمرأة زنـــى وأولاد زنـــى**"_(هوشع ٢:١)

هل تغيّرت مفاهيم الرب التوراتي منذ كتابة التوراة هذه، إلى اليوم ؟

هل يفهم آباء الكنيسة، المحترمون، هذا الرب على حقيقته ؟

هل هم على مبادىء يسوع أم على مبادىء ربّ التوراة ؟

هذا الرب هل هو رب جميع أبطال التوراة وجميع أنبيائها؟ أم هم أرْبَابُهُ؟!..

من هو صنيعة الآخر ؟

ومن هو صورة للآخر ؟

وأي صورة للخير والمحبة والسلام والقداسة يعكسها الواحد عن الآخر ؟

ما هي الرابطة القدسية بين هذا الرب الوثني وبين الرب الكوني، الواحد الأحد، الواحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، الاله العادل، الكامل، الذي لا شبيه له ولا مشبه به، ولا بديل ولا عديل ولا مثيل؟!.

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

ما علاقة المفاهيم التوراتية، بمفاهيم يسوع الإنسانية التي تدّعي المسيحية الإيمان بها؟.

إذا كانت التوراة المتداولة، مزوّرة، فلماذا الاستمرار بالتبشير بها إلى جانب تعاليم يسوع المثالية؟ ولماذا الاستمرار بدسّها ككتاب مقدس إلى جانب الكتب المقدّسة؟.

كيف نوفّق بين كونية تعاليم يسوع التي تدعو إلى وحدانية الخالق ووحدة الانسان والكون، وبين عنصرية التعاليم التوراتية التي تقول بالإله الخاص، وبالشعب الخاص الموعود بالأرض الخاصة به؟!.

هذا الإله التوراتي الذي يأمر بالزنى ويعلّم السرقة والقتل وطرد الشعوب ويسيمها النكبات والأمراض والويلات هل هو نفسه رب العالمين أجمعين؟ هل من المعقول أن يكونه؟.

بالله عليكم، إقرأوا التوراة، أياً تكن نسختها ولغتها، تمعّنوا فيها، وادرسوا مرامي أفكارها، وحللوا رموزها، واسألوا أنفسكم بعدها: أين أوجه القداسة في كل ما جاء فيها؟.

فإن لم يكن كذلك، فأين موقعكم منها ومن إلهها الخاص؟!.

فما دام لهذا الإله شعبه الخاص، فما حاجته لخلق بقية شعوب الأرض، كان الاحرى بهذا الاله ألاّ يخلقها فتصبح الأرض كلّها لشعبه المختار، يتنّعم بخيراتها وحده دون منافس له عليها، وبذلك يكون قد أراح شعبه من الحروب واستراح هو بدوره من المحاربة عنهم وأحياناً من التوسّل إليهم ليرضوا عنه فيعبدوه؟

فكرة شعب الله المختار، وفكرة المسيح الذي لم يأتِ الاّ لأجل خراف اسرائيل، ألا تضعفان من مشيئة هذا الإله؟

إلا تحجمانه وتصغّرانه؟ ألا تُنْقصان من شمولية ملكوته؟

إلى متى نستمر في تمثيل دور النعامة؟

ألا نعرف هذا؟ أم أننا نعرف ولا نريد ان نعترف؟

أو أننا لا نريد أن نعرف لئلا نعترف؟

إلى متى تستمر غفلتنا العقلية فنقبل ان يُكرز علينا بتوراتيات لا تعني إلاّ من يؤمن بها؟

ما دامت هذه التوراة مزيّفة، كما يظنّ البعض، تخلو من مكارم الأخلاق ومن مفاهيم المثل السامية التي بشّر بها يسوع ويدعو اليها الإسلام وتتسامى اليها أفكار هرمس، وأرسطو وأفلاطون، وعليّ، وكريشنا، ولاوتسي وبوذا وطاغور ورامبا وتيار دو شاردان، واوغسطينوس واخوان

الصفاء والحلاّج وابن عربي وغيرهم، وغيرهم، من معلمي الفضيلة ودعاة السلام والمحبة عند كافة الشعوب، في مختلف الأزمان والحقبات، فلماذا الاستمرار بالتبشير بتعاليمها العنصرية، والكون قد أصبح على قاب قوسين من وحدته الكونيةّ؟.

هل يعني تكريس قداستها والاستمرار بالعمل بما جاء فيها غير التعمية عن الإيمان بالإله الحقيقي، رب العالمين أجمعين لإثبات ربوبية الاله الوثني وتقديس خططه والخضوع لمشيئة افكار من صنعه لتثبيت القدم اليهودية على الأرض وعلى رقاب شعوب العالم بحماية النظام العالمي الجديد الذي هيّأته التوراة واعدّت له منذ كتابتها فآمنت به أميركا ومن يدور في فلكها من المتمسيحين، وقد أتى زمانه واقترب؟!.

أما آن للعقل ان يستيقظ؟!.

أما آن للوعي ان يسأل؟

يقول قائل أن هذه التوراة مزيفة ومدسوسة، فأين هي التوراة الحقيقية المقدّسة التي يتوخاها ونتوخّاها معه، والتي تتحدث عن الله الأحد، رب الأكوان كلها على حدٍ سواء؟

فأن كانت موجودة في غير ايمان من يتوخّى قداستها، فليقل لنا أين هي؟!. ومن يخبئها؟ ولماذا؟!.

أضناً على ما فيها من أسرار أم خجلاً لما فيها؟

هل تخبأ الحقيقة؟

هل يوضع السراج فوق المشكاة أم تحتها؟!.

ما دامت هذه التوراة المتداولة، بجميع طبعاتها ونسخها قد أصبحت موضعاً للطعن وللشك وللنقد، فلماذا لا يرفع الستار عن التوراة الحقيقية، إن كانت بالفعل موجودة، فتُعلَنَ ونُعلن، وأمثالنا، ندمنا وتوبتنا وإيماننا بها وبقداسة ما جاء فيها؟

ما دامت هذه التوراة غير موجودة إلاّ في الفكر المثالي أو في فكر من يتوخى القداسة في الكتب، فإن التوراة المتداولة في جميع الكنائس بعد إقرار مجمع ترانت ١٥٤٦ بصحّتها وبقداستها، نعتبرها هي الكتاب التي تدّعى الكنيسة قداسته، وترتكز عليه في تعليمها وكرازتها وتبشيرها نشراً وامتداداً لليهودية في جوهر الدين المسيحي، حتى لقد أصبح هذا الدين يهودية متجددة، أخذت من جوهر المُثُل المسيحية الرداء الذي يكفل ديمومتها ويسمح لها، بالتالي من التغلغل إلى عمق التعاليم المسيحية للتمكّن من تفتيتها وتقسيمها إلى مئات الشيع والمذاهب، كما هو حاصل اليوم، فتضعف هذه المسيحية وتأكل نفسها بنفسها وتبقى اليهودية وذلك تحقيقاً لما جاء في الفقرة

الرابعة من بروتوكول حكماء صهيون الرابع والعشرين: "**إجعلوا أولادكم كهنة، واكليريكيين، علّهم يهدمون كنائسهم**".

وفي الفقرة الخامسة من البروتوكول نفسه جاء ما يلي: "**عندما تضعون المسيحيين تحت حكمكم، تحكمون العالم وتنتقمون منهم**".

ان الخلاف بين اليهود كان على تدمير المسيحية، ولم يكن أبداً على ما أخذته من اليهودية؛ فمنهم من أراد القضاء عليها مواجهة وعلناً، مثلما جاء في صلاة "**اشمونة عسرة**" التي تقول: "**لا يكن للمرتدين رجاءٌ. ولتستأصل دولة الظلم سريعاً وعلى أيامنا. وليضمحل النصارى والمشركون وليمحوا من سفر الحياة**". ومنهم من كان أكثر برودة ودهاء فأراد التدمير من الداخل، وذلك ببث بذور الشك في النصوص، وبالتالي، بذور النـــزاع في النفوس، فتثمر تلك البذور ردّة تعيد المسيحية الى أحضان داود، او تُكثر مناجل حصاديها، فلا تبقى سنبلة واحدة لبذار الموسم المقبل، وحينئذ تُسمعُ قرقعة المناجل فيما بينها مبتهجة بزمن انتهاء المواسم.

أيها المسيحيون الصادقون، تنبّهوا من الزؤان المزروع في حقول حنطتكم. وتنبهوا من الفعلة المأجورين يقتلعون ما تبقى من جيّد ما نبت من بذوركم الأصيلة، بحجة انهم يعشّبون

حقولكم ويغارون على حُسن مواسمكم، وحينها، لن يبقى ما تزرعونه في المستقبل غير الزؤان المؤصل عندهم. ويقول الفيلسوف برونو بوير (١٨٠٩-١٨٨٢) الذي تعمّق في دراسة المفاهيم اليهودية في كتابه "المسألة اليهودية" إن اليهودي الذي يعيش في أصغر مقاطعات المانيا محروماً من الحقوق، هو نفسه الذي يقرر سياسة اوروبا كلها".

المسيحية، اليوم، بحاجة لحبر بطلٍ، عظيم، مؤمن بتعاليم يسوع وبإله كوني مطلق، يقوم بالدعوة لعقد مجمع يعيد للمسيحية صفاء التعليم وطهارة الممارسة فيحررها من الإلتزامات اليهودية الهادفة إلى توثينها وإلغائها كدين مثالي طوباوي، تعيشه الإنسانية كلها، على مختلف توجهاتها الإيمانية لأنه يُمثل لها قيم الخير والمحبة والأخلاق والتسامح والسلام.

المراجـــــــع

المراجع العربية:

١. التوراة

٢. المعين الرائق في خلاصة الحقائق – الحبر الجليل كيريوس غريغوريوس عطا

٣. القراءات الملعونة– جود ابو صوّان– طبعة خاصة – بيروت

٤. الكتاب المقدّس (الأناجيل والرؤيا والرسائل).

٥. العرب واليهود في التاريخ/ د. أحمد سوسة. العربي للاعلان والنشر والطباعة– دمشق.

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

المراجع الاجنبية:

1. Antiqutés judaiques
   Flavius Josephe- edt- leroux- Paris 1929
2. Jésus ou le mortel secret des templiers
   Robert Ambelain- edt. Les énigmes de l'univers
3. Les roses croix lèvent le secret.
   Lanore- Paris
4. La tragédie des templiers
   Georges Bardonove- France loisirs- Paris
5. Jewish mythologie-
   Dr.M.D.Magee
6. le voyage du pélérin
   Bunyan John
7. Book of God
   Kenealy
8. Isis dévoilée
   H.D Blavatsky- Ediar
9. La doctrine sécrète(5)
   H.D. Blavatsky- Ediar
10. Origène-
    Heret, Origineniana; Frank, 21
11. The secret teachings of all ages Manly P.Hall...
    The philosophical research society. U.S.A
12. The mystical life of Jesus
    H. Spencer Lewis- F.R.C

فهرس المحتويات

	الصفحة
بطاقة المؤلف الشخصية	٥
الإهداء	٧
المقدمة	٩
الكذبة الكبرى	١٣
الكتب المقدسة	٢٧
زرادشت	٤٧
نشأة الكون الزرادشتية	٥٥
تاريخ أم تأريخ	٦١
شركٌ أم إشراك	٧١
ما بين الحقيقي والمزيّف	٨٥
كتاب واحد أم كتابان	١٠٣
طقوسٌ وآلهة	١١٧
إلهٌ أو آلهة	١٢٧
المُسحاء	١٤١
سليمان حقيقة أم وهم	١٥٩
كشف القناع	١٧٥
المراجع	١٩٩
الفهرس	٢٠١

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان